

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

نمن الممدد ٢٠ ملياً

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

المرآة

مجلة أسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها الشئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ - عابدين - القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثالثة عشرة

« القاهرة في يوم الإثنين ١٥ رجب سنة ١٣٦٤ - ٢٥ يونيو سنة ١٩٤٥ »

المسند ٦٢٥

ولم يظهر المعنى الإنساني في رثاء المرأة - حليمة كانت
أو غير حليمة - قبل عهد ابن الرومي الذي قال في بستان المنية :
بستان واحسرتنا على زهر فيك من اللهو بل على ثمر
وقال من القصيدة بينها يذكر وفاتها في ريمان الشباب :
يا غضة السن يا صغيرتها أمبحت إحدى المصائب التكبر
ورثى امرأته رثاء يدل على هول الفجعة فيها فقال :
عيني سحا ولا تشحا جل مصابي عن العزاء
ونظم قصيدة أخرى في مثل هذا الرثاء

وليس بالمسير تحليل هذه الظاهرة الثقافية في جميع الآداب
العالمية ، فإن الأمر مرتبط بإمكانة الزوجة في العصور القديمة ، ثم
في هذه العصور الحديثة . ومما لا اختلاف فيه بين الأمم أن الزوجة
كانت في أقدم العصور كالقوية الملوكة التي لا فرق بينها وبين
الجارية الرقيقة ، ثم ارتفعت مكانتها فظهرت الزوجة ربة البيت ،
ولكنها لم تزل في عرف المجتمع شبيهة من شهوات الضرورة التي
يلجأ إليها الرجل في ساعة ضعفه أو الساعية التي تغلب فيها الطبيعة
الحيوانية ، ولم تظهر المرأة التي هي « شريكة حياة » ، أو سكن
للرجل كما جاء في القرآن الكريم إلا في العصور الأخيرة ، وإن
كانت لها رائدات سابقات نين بمض الأمر فيما تقدم من العصور
فالشاعر كان يتنزل في المرأة ولا يحتج من ذلك لأن النزل
منسوب إلى الطرف واللباقة

من وحي المرأة

للأستاذ عباس محمود العقاد

من أعجب ما يلاحظ على آداب الأمم قلة ما نظمته الشعراء
في رثاء النساء ، ولا سيما الزوجات
فقل كثرة النزل في المرأة ترجع إلى شعر الأقدمين والمحدثين
وإلى شعر العرب وغيرهم من الأمم ، فلا نرى في لغة من اللغات
إلا قصائد معدودات في رثاء النساء والزوجات منهن على الخصوص
فليس أكثر مما نظمته الشعراء في النزل بالمرأة ، ولا أقل
مما نظموا في الحزن عليها

وقد رثى شعراء العربية الأمهات كرتاء المتنبي لجده ورتاء
الشريف لأمه ، ونظموا العزاء في أخوات الأمراء وقربائهم ،
كما نظم المتنبي تلك القصيدة اللامية في رثاء أخت سيف الدولة ،
ولم ينس أن يقول منها :

ولو كان النساء كن ققدنا لفضلت النساء على الرجال
كأنه يعتذر من هذا الشذوذ في قواعد الرثاء بحالة مستثناة لا يقاس
عليها ، وهي حالة هذه السيدة التي تفضل السادة الرجال !
بل وجد في صدر الإسلام من يرثى امرأته معتذراً حيث يقول :
لولا الحياء لهاجنى استمبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

ذرية بعدها ، ولا يقال إن الحب العاطفي هو مصدر هذا الوحي ، لأن الحب العاطفي قد يوجد ولا يوجد معه التفاهم في الأفكار ولا التعاون على أعباء الأسرة وشواغل النفوس ، ولكنها المشاركة في الحياة وحدها هي التي يرجع إليها الإيماء بهذين الديوانين ، حين فهم المصركله معنى الزوجية التي تقوم على هذه المشاركة بين حياة إنسانين

والزوجة شريكة الحياة — حياة الأدب على التخصيص — هي التي يقول الأستاذ صدقي في وصفها :

وكنت النني من مشكل بعد مشكل
وعقدت نفس تستديم قلاقل
مشاكل شتى : حاجة النفس للهوى
وحاجة ذي حس ، وحاجة عاقل
جمعت لي الدنيا فأغنيت مُعسدي

وأتممت محرومي وزيت عاظمي
أو يقول في ذكرياتها من قصيدة أخرى :

وخير رفيق أنت في كل رحلة وخير سفير للحديث بنصد
ونجلس في حضن الطبيعة صمتنا متاجلها — إن الطبيعة معبد
ونجلس للأشجار ندرسها معاً

كأن ليس غير الكتب في البش مقصد
وقد تكون شريكة حياة ولا يكون قوام المشاركة بينها وبين
قربها طول الشغل بالدراسة والمطالعة ، كما قال الأستاذ عزيز في
قصيدته الدالية في يوم ميلاده :

أقول والقلب في أضلاعه شرق
بالدمع : لا عدت لي يا يوم ميلادي
زلت بي ودخيل الحزن يعصف بي
وقادح البث ما ينفك معنادي
وكنت تحمل لي والشمع مجتمع

أنساً يفيض على زوجي وأولادي
فانظر تر الدار قد هيضت جوانبها
وانظر تجمد أهلها أشباح أجساد
فقدتها خلة للنفس كافية تكاد تنفي غناء الماء والزاد
وموتلاً أجد الأمن الكريم به إذا تعاورني بالبنى حسادي

وكان يرثي أمه أو جدته لأن حب الأمهات والجندات محسوب من البر المشروع الذي لا ضعف فيه
وكان يرثي أمهات الأمراء وقريباتهم ، لأن عزاء الأمراء واجب من واجبات المفروضة عليه

ولكنه لم يكن يرثي الزوجة المتوفاة ، لأنها شيء يخصه ولا يفهم معنى الفجعة فيه عند أبناء عصره إلا على معنى الضعف الذي لا يجعل بالرجال ، وكيف كان يحمل بهم أن يتفجعوا على الزوجة الفقودة ، وقد كانت زيارة قبرها مما يحتاج إلى اعتذار ؟

ولا شك أن آداب الأم هي خير مسجل لأخلاقها الاجتماعية سواء تعمدها الشعراء أو لم يتعمدوها

فن الظواهر الحديثة التي تسجل في الأدب العربي — أو الأدب المصري — أن الزوجة « شريكة الحياة » تمثلت في شعرنا المصري تمثلاً واضحاً بليغاً صادق المدلول ، لأننا قرأنا في سنوات متقاربات ديوانين كاملين في رثاء الزوجة الفقيده ، وكلاهما لم يكن ظهوره بالفهم قبل هذا الجيل ، لأن وجود شاعرين اثنين يسيان لذكرى فقيدتهما لا يكفي لإظهار ديوانين في هذا المعنى ، ما لم يكن هذا المعنى ملحوظاً مقدراً عند الكثيرين من أبناء الجيل الذي ينشأ فيه

قرأنا بالأمس ذلك الديوان الحزين الذي نظمته الشاعر المطبوع الأستاذ عزيز أباطة بك وسماه « الأنات الحائرة » ، لأنه أقوى من أن يسمى بالدموع

وقرأنا هذه الأيام ديواناً آخر في هذا المعنى للشاعر الأملئ الأستاذ عبد الرحمن صدق سماه « من وحي المرأة » ، لأنه لم يكن إلا وحيًا فاض به حزنه على فقيدته العزيزة ، فخرج في جلته منظوماً كأنه لا يحتاج إلى ناظم ، وجاء فيه بقصائد ومقطوعات سبق في عداد الشعر الخالد ، سواء منه ما نظم في هذا الموضوع أو غير هذا الموضوع

ويدل على أن ظاهرة الزوجة شريكة الحياة هي الباعث على نظم هذين الديوانين أنهما قد نظما في زوجتين لا تجمع بينهما صفة تميزها غير صفة المشاركة في الحياة ، فلا يقال إن القرابة هي باعث إنشاء ، لأن إحدى الزوجتين أجنبية عن البلد فضلاً عن الأسرة ، ولا يقال إن الذرية هي علة الإعزاز ، لأن إحدى الزوجتين لم تنجب

بقية حديث في فرنسا . . .

[إلى الأستاذ توفيق الحكيم]

الأستاذ عبد المنعم محمد خلاف

—»»»»»—

قد يذكر القراء أني كتبت غداة انبهار فرنسا وسقوط باريس في قبضة الألمان سنة ١٩٤٠ في عددي ١٢ - ٨ - ١٩٤٠ و ٢ - ٩ - ١٩٤٠ من هذه المجلة مقالين أعدد فيهما بذلك الموقف الشاذ الذي وقفه بعض كتاب مصر والشرق العربي ليكون فرنسا بدمع غزير وعاطفة حارة ناسين أن فرنسا أشد أمم الاستعمار تعصباً على العرب والمسلمين ونكاية بمن وقع منهم في يدها وتحت سلطانها ، وأنها كانت أعظم عائق في طريق المفاوضين المصريين في مؤتمر « مونترو » لإلغاء الامتيازات الأجنبية في مصر ، وأنها كانت آخر دولة تنازلت عن دفع فوائد الدين المصري بالذهب في الأزمة التي وقعت بهذا الخصوص ، وأنها كانت أشد الأمم احتياطاً وتشدداً في ضمان الحرية للعاهد الأجنبية في مصر .

تمنحو علي وترعاني وتبسطلي

في غمرة الرأي رأي الناصح الهادي وهذه هي صفة الزوجية التي تشترك فيها حياتان بالرأي والمطف ، وتكاد تقضي غناء الماء والزاد ، بل تكاد تجعل يوم الميلاد يوماً مشتركاً لا يستقل فيه الزوج بذكرى ولادة له لا ترتبط بذكرى الزواج

هذه الحياة أمجوبة الأعاجيب ، وهي أعجب ما تكون في مآلوفاتها الشائمة بكل صباح ومساء ، ومن تلك المجائب أنها لم تجود بخير لا شرفيه ولا تصيب بشر يخلو كل الخلو من الظير . وليس عزاء الإنسان على شطرنقه وصنوحياته باليسير ، ولكنه على كل حال من العزاء النبيل للشاعرين الفاضلين أن مصابهما قد أغنى الأدب العربي بهذه النخبة النفيسة ، وسجل للمجتمع المصري هذه الظاهرة الكريمة التي تقترن أبدأ بالتهذيب والارتقاء

عباسي محمود العقاد

وقد يذكرون أيضاً أن هذين المقالين كانا سبباً في أن يمتنع ممثل فرنسا في سوريا ولبنان في ذلك الوقت دخول « الرسالة » إلى هذين القطرين الشقيقتين برغم أن الرسالة أفسحت صدرها لمن ردوا على رأي منتصرين لفرنسا ومدافعين عن ميراثها الثقافي وروحها كما تراءى لهم . وكان مهم الدكتور زكي مبارك .

وقد بعثت إلى الرسالة بمقالين آخرين لم ينشرا حينذاك تمهيداً لعقد هدنة بين ممثل فرنسا في سوريا ولبنان وبين الرسالة .

وقد ضاع المقالان ولم يبق لدى منهما إلا مسودات سأحاول الآن جمع ما تفرق من الماني فيهما لأن الظروف قد صدقت رأيي في فرنسا ، وجلبت عليها عداوة كثير من أقلام عربية وغير عربية من جراء تخبط سياستها ورجلها ، ومن جراء تلك الروح الوحشية البربرية الرجعية الحققاء التي تراول بها سياستها مع شعوب العالم العربي ، ومن جراء ذلك التخلف الذهني الذي يبلغ درجة الانحطاط عن مستوى الروح العالمي الإنساني الذي يغمر قلوب بعض الأوصياء على الحضارة ، على الأقل في مظاهر الخلد والإرضاء ومحاولة الوصول إلى الأهداف من طرق ملتوية ولكنها سليمة .

وما أظن أحداً من أذئاب فرنسا في مصر يستطيع أن يرفع رأسه ويحرك قلمه الآن للدفاع عن فرنسا إلا بمحذر وعمويه ولذعات خفية وظهور بمظهر الغيرة على موقف مصر بموازنة موقف إنجلترا منها بموقف فرنسا في سوريا ولبنان وشمال أفريقية ، كما يفعل الأستاذ توفيق الحكيم في « الأهرام » بين آونة وأخرى مع أنه ظل ساكناً لا يعلن سخطاً ولا نكيراً على سلوك فرنسا الأخير في سوريا ، ومع أنه ربما يكون لاستنكار أمثاله من ربيبي فرنسا الأوفياء شيء ولو قليلاً من الاعتبار . حتى إذا ما تحركت إنجلترا بإيقاف تلك « المذبحة الكبرى » تحرك قلمه ينمز ويلمز في مظهر الغيرة على الوطنية المصرية . وهو موقف مكشوف ظاهره الوطنية وباطنه تبرير موقف فرنسا بمقارنة صنيعها بصنيع إنجلترا في مصر . وما كان أولاه أن يتحرك قبل الآن ليشير القبار والشرر والنار في وجه الفرنسيين المتدين الناشقين على أبناء قومه في المشرق والمغرب ، إن كان يدين بالقومية العربية التي يعيش من الكتابة بلقمتها ... أو لينمز الإنجليز كما يشاء .

مدينة ، وجناية على المبادئ السامية التي زعمتم أنكم أول من أعلنها في ثورتكم الكبرى .

وقد طلبت من الباكين على فرنسا في محنتها الحاضرة أن يذكروا محنة بني قومهم بكم قبل أن يذكروا محنتكم بالألمان ؛ وأن يكفوا عن افتتانهم بحضارتكم فتنة المعنى عن عيوبكم وجنبايتكم على الإنسان بحرماته من خير الروح وخير البدن . . . مما لم ير العالم له مثيلاً إلا في عصور البربرية والهمجية .

وطلبت من هؤلاء الباكين أيضاً أنهم إذا ذكروا « باستور » وفضله على الإنسان كما ذكره الدكتور زكي فليذكروا أنكم الآن تحكمون البشر أقل من حكم البقر والغنم التي كانت في حظائر « باستور » ليحرق عليها تجاربه وأبحاثه ؛ فقد كان يسميها ويربها ويدواها ويبقى على حياتها ويفكر لإنقاذها من الأمراض ويمدها للغايات التي خلقت لها . وإذا أحياء « باستور » ملايين الأجسام فقد أمات قومه ملايين الأرواح والأجسام موتاً مادياً وأدياً أخف منه الموت بالطاعون والأوجاع الثقيلة التي تقضي على الإنسان مرة واحدة ولا تهدر دمه وترخص روحه .

وإذا ذكروا « شوبليون » وفضله على مدينة أجداد المصريين كما ذكره الدكتور زكي فليذكروا أنه جاء مصر غازياً في حملة نابليون الذي نكل بالمصريين تنكيلاً قظيماً ، فإذا احتفل الأول بأحجار قدماء المصريين فقد أباح الثاني لجنوده أن يتخذوا من الأزهر — صاحب الفضل الأول على الدكتور زكي مبارك ! — اصطبلًا لحيلهم ، وأن يحرقوا أحفاد صانعي الأخبار التي قتن بها « شوبليون » بالنفط ويضربوا نطاقاً من المواد اللهبية حول القاهرة وحواضر الأقاليم . وكتب نابليون إلى أحد قواده يأمره بقطع خمسة رؤوس كل يوم من أعيان البلاد كما يقطع هو كل يوم عشرة رؤوس منهم !

وإذا ذكروا « السوربون » وفضله على الأدب والعلم فليذكروا الأزهر الذي اتخذته جنودكم اصطبلًا للخيل ولم يرعوا للعلم والدين حرمة .

وأنا بعد أن لست أخيراً حماسه لفرنسا حماسة نمت فيها أدب الحديث والمناقشة مع بعض الجالسين في إحدى جلسات ندوة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ينبغي ألا أمانعه ، بل ينبغي أن أكشفه وأكشف أمثاله للعالم العربي ليعرف في ساعة العسرة والأزمات هؤلاء الذين يعيشون معه بأجسامهم فقط . . .

وإنى أدعو الأستاذ سيد قطب أن يكشف عن هذا الأثم الذي جادله في أمر الشرق العربي وقطائع فرنسا فيه ، وقال تلك المقالة المنكرة « إذا لم يكن بد للإنسانية من أن تفقد فرنسا أو أن تفقد هذا الشرق العربي فليذهب الشرق العربي إلى الجحيم ! » فإني ينبغي لنا بعد اليوم أن نبقي على صداقات تنكر الصداقة الأولى التي يعرفها الحيوان قبل الإنسان وهي صداقة الوطن والجنس ، فعليه أن يكشف هذا الدخيل الجاهل وهو معاني من قيود الأخلاق في مثل هذه الحال .

المقال الأول

عالم لم ينشر في سنة ١٩٤٠

إلى ممثل فرنسا في سوريا ولبنان

كتب الدكتور زكي مبارك إلى جنابكم كتاباً مفتوحاً نشر في العدد^(١) من « الرسالة » حاول فيه أن يرى الرسالة من جرائر المقاتلين اللتين أنحيت فيهما باللائمة الشديدة والسخط البالغ على أساليب فرنسا الاستعمارية التي لا تفرق فيها بين الشخصية السياسية للمحكومين لها وبين شخصيتهم الإنسانية والأدبية التي تتطلب غذاء لأرواحهم وعقولهم في هذا العصر الذي تسمونه عصر العلم والنور وارتقاء قيمة المعاني الإنسانية ، وقد أدى عدم التفريق هذا إلى تخلف العرب والبربر المحكومين بكم عن قافلة الحياة الإنسانية بمائة سنة على أقل تقدير . وفي هذا جنابة عظيمة على الحضارة بحرماتها من جهود أمة من أذكى أمم الأرض وأعرقها

لفرنسا إلا بعد عهد قطعت على نفسها ثم نكثت به وخانت شرف اسمها ، وأن هذه الأمة الفرنسية التي لا يزال قلبها يتنزعز المأ وحسرة على نهاية بطلها نابليون لا تشع أي شعور إنساني نحو أمثاله من الذين نهضوا يذودون عن حرية قومهم ومجدهم .

فيا جناب ممثل فرنسا ! أظن أنك رجل تقار على قوميتك وتدافع عنها ! فدعنا نفعل ذلك دائماً

وأظنك ترى متى أن كل من يضيق على فرنسا حنان قلبه وينسلها بدموع عينيه من المصريين إنما هو أحد رجلين : رجل حاصل بجرائزكم على أمته وكرامة قومه ، قد استسلم للفتنة بما عندكم ، وهذا لا يلين به أن يتصدى لقيادة الشباب بقلبه مهما كان له من الحسنات في مجال « الترف العقلي » ولا يجوز لكم أن تعتبروه معبراً عن شعور هذه الأمة المصرية حين يرسل لمصرع أمتكم دموعاً تشهد عليه أنه غير سليم الموقف ولا صحيح الطبع ، وإنما هو ذو مزاج مؤوف ورأي منكوس .

وأما رجل يعرف هذه الجرائز ولكنه يطويها عن الناس في نفسه ولا يذكركم بها ليبين لشباب قومه الفتون جوهر نفوسكم وحقيقة حضارتكم ، لأنه صريح الحياة أو مأجور القلم . وهذا لا شك رجل نافه الصداقة نافه العداوة ؛ فليس فيه دفع لكم لأنه لم ينفع قومه . وهو جدير أن ينقلب عليكم حين تفوته المنفعة ، ولأنه لم يعشق روحكم التي يزعمها روح أحرار ، فلو عشقها حقاً لكان أول من حاكمكم إليها حين رأيكم تحيدون عنها وخصوصاً مع بني قومه

وإذا كان فيها مضى كتاب خادعون أو مخدوعون فتنوا بظواهر حياتكم فتنة العمى عن حياة قومهم المذنين بكم ، وصالحوكم ولم يذيقوكم مرارة العداوة والتأثر من سميتكم ، لإخوانهم ، فإن الزمن الآتي لن يسمح لأمثالهم أن يسيطروا على عقول الشباب العربي ، بعد أن نطقت حوادث الزمان أنكم قوم لا تصلحون لوصاية على أحد إذ أنكم أنتم محتاجون في الواقع إلى أوصياء يهدونكم سبيل الرشاد .

عبد النعم محمد معروف

وإذا ذكروا انتفاعهم بعلومكم وفنونكم ، فليذكروا أنكم كنتم أشد الأمم إصراراً على الاستمرار في إهدار الكرامة المصرية وكنتم الشوكة الوحيدة في حلق المفاضين المصريين في مؤتمر « موترو » لإلغاء الامتيازات الأجنبية ، التي كانت تحمل من السنغال التابع لكم شخصاً له امتياز على المصريين في ديارهم . وأنكم كنتم آخر دولة وقعت على محضر إلغاء صندوق الدين : رمز الذل الاقتصادي الذي أصاب مصر ، فلم توقعوا إلا بعد هزيمتكم ونكبتكم ، وأنكم كنتم الوحيدين الذين أصروا على دفع فوائد ديونهم في مصر ذهباً لا ورقاً ، وأنكم وحدكم الذي عنيتكم بفرض ضمانات شديدة لاحتلالنا بثقاتكم .

وإذا ذكروا التنايل والأنصاب التي تجعل مدنيكم ، فليذكروا أن أشرف نصيب فيها وهو ضريح الجندي المجهول في باريس يثير في نفوس العارفين ذكرى أكبر غزاة ومظلمة ونكران للجميل ! فقد ذكر سكرتير مسيو « كلنصو » في مذكراته أن حكومتكم لما فرغت من إقامة بناء ذلك النصب التي تحته قبر الجندي المجهول في باريس أرادوا أن يضعوا فيه جثة جندي فرنسي ، فذهبوا إلى ميدان موقعة « المارن » الشهيرة ، وصاروا ينبشون لإخراج جثة . وشاء الله أن يسجل على فرنسا لعنة أبدية حيث أرادوا لها نكراً . فكانوا كلما نبشوا عن جثة وجدوها جثة قتيل من جنود شمال إفريقية فيردمون عليها ، وهكذا لم يهتدوا لجثة جندي فرنسي « أبيض » إلا بعد عثورهم على ثلاثة عشر جثة للغاربة ! ومع هذا لم ينطفئوا قوم هؤلاء القتلى الذين ذهب ملايين منهم ضحايا في سبيل فرنسا أي إنصاف ، ولم يمكنوهم من أقل الحقوق الإنسانية وهي حق الحياة والعلم ، وأبو أن يضعوا جثة أحدهم مكان جثة فرنسي فتح ...

وإذا ذكر الباكون أنهم عاشوا بباريس في رحاب الشراب والحب والنزل والأنس ، فليذكروا أن بطلاً كريماً هو المجاهد محمد عبد الكريم الخطابي بطل ثورة الريف في مراكش الذي تفخر به قوميتهم العربية أعظم من فخرها بأي قلم نافه لأحدهم ... قد مضى عليه خمسة عشر عاماً « الآن مضى عليه عشرون عاماً » وهو ملقى في أصفاده على صخور جزيرة مدغشقر ، وأنه لم يسلم نفسه

في إرشاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

- ٦ -

* ج ١٣ ص ٤٧ :

ولما نشرتُ أفأوفيهَا طوى الناس ديباجة البحرى
وجاء في الخاشية :

لعل الأفأويق جمع فواق ، من فاق بنفسه فواقاً : إذا كانت
على الخروج أو مات وهذا يناسبها نشرت ، وكنت على وشك
أن أجعلها أفأويلها جمع أقوال وتكون نشرت بمعنى أبرزت غير
أنى أقيمتها ونهت على ما كنت أريد أن يكون للقارى الخيار .

قلت : أفأوفيهَا ... في المخصص : الفوف الثوب الرقيق ،
وفي اللسان والتاج : الأفراف ضَرْبٌ من عَصَب البرود ، وفي
الأساس : شعر كانه أفواف . وحلة أفواف وبرد مفوف ، أصله
من الفوف وهو نقط بياض في أظفار الأحداث الواحدة فوفة .
وقال أبو القاسم في مقدمة مقاماته : ولم يأكل فيما يعود على مقتبسها
بجليل النفع وعظيم الجدوى في بابى السلم والتقوى من انقاء
ألفاظها وإحكام أسجاعها وتقويف نسجها وإبداع نظمها . وقال
صاحبها الزمخشري في الشرح : التفويف التوشية وبرد مفوف
فيه خطوط بيض ، قال ابن دريد : المفوف الموشى فيه رقة ، ويقال
للموشى أفواف قال :

قد كذبتم ما لباسكم جيد الأفواف والجره
بل لباس القين بزكم ولباس القين مشهره^(١)

(١) (بزكم) جاءت في شرح المقامات بالذال وهو خطأ . (القين)
في اللسان : قيل : كل صانع قين والجمع أقيان وقبون ، وفي التاج : كل عامل
بالديد قين عند العرب ، وقال الكرى : كل صانع يطالج صنعة بنه نهر
قين إلا السكاكيب ... (قلت) : لباس الصانع أو العامل في وقت العمل
أجمل لباس في الدنيا .

وروى باقوت في كتابه لأبي حيان من (مثالب الوزيرين) :
ثم ما ذنبى إذا قال لى (بمنى صاحب) : من أين لك هذا الكلام
المفوف المشوف الذى تكتب به إلى فى الوقت بعد الوقت ؟ فقلت :
وكيف لا يكون كما وصف مولانا وأنا أقطف ثمار رسائله ...
وأرد ساحل بحره ... فيقول : كذبت وفجرت لا أم لك ! ومن
ابن فى كلامى الكدية ... والتضرع والاسترحام ؟ كلامى فى
السما ...

ولأبى هلال السكرى فى مقطوعة :

وعلى الربا حلل وشاهن الحيا فسهم ومزخرف ومفوف
وروى ابن حجة فى (خزائنه) لابن قاضى ميلة :

بعيشى ، ألم أخبر كما أنه فسقى

على لفظه برد الكلام المفوف ؟

و (التفويف) من أنواع (البديع) ...

وبيت (الأفأويق) ختام قصيدة لعل بن الحسن الباخري
صاحب (دنية القصر) فى أبى القاسم على بن موسى نقيب الطالبين
بحرو ، وقد جمع أفواقاً على أفأوف .

* ج ١٦ ص ١٩٦ :

وقضى الزمات فلستُ آسى

على فوت الثراء وأنت عنى

وجاء فى الشرح : آسى : حزين ، وأصله آسيا لأنه خبر
ليس ، لكنه جره على توهم الياء لكثرة مجيئها فى الخبر .

قلت : فلستُ آسى .

أسيى يأسى أسيى فهو آسى وأسيان وأسوان كما فى اللسان .

وفى حديث أبى بن كعب : والله ما عليهم آسى ولكن آسى على
من أضلوا كما فى النهاية .

* ج ١٥ ص ٩٨ :

ومن شعر أبى تراب (على بن نصر الكاتب) :

حالى بمحمد الله حال جيّدة

لكنه من كل خير عاطل

وفي الناج : قال ابن الأعرابي : الدميم بالدال في قده وبالدال في أخلاقه ، وأشد :

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً : إنه لديم
إنما يعنى به القبيح ، ورواه ثعلب بالدال فرُد ذلك عليه .
قال الأنباري في (نزهة الألباء) : كان الحريري دميم
الخلق ، فيُحكى أن رجلاً قصد ليقراً عليه ، فاستدل على مسجده
الذي يقرأ فيه ، فلما أراد الدخول رأى شخصاً دميم^(١) الخلق ،
فاختبره ، وقال : لعله ليس هو ، فرجع ثم قال في نفسه لعله
يكون هذا ، ثم استبعد أن يكون هو ، والشيخ يلحظه ، فلما
تكرر ذلك منه ، تفرس الشيخ منه ذلك ، فلما كان في المرة
الأخيرة قال له : ارحل ، فأنا من تطلب ؛ أكبر من قرد محمّدك ...
والقصة التي فيها البيتان الرائيان - وقد رواها ابن خلكان -
مشهورة .

ج ١٠ ص ١٩٠ :

فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع
ورضوى ذرتها من سطاك نواسف
قلت : (متالع) بضم الميم كما ضبط التاموس وغيره ، وهو
جبل في البادية في بلاد طى . والبيت لأبي العلاء صاعد البغدادي
في أبي عامر المنصور .

ج ١١ ص ٨٠ : توفي القاضي السجزي (الخليل بن أحمد
ابن محمد) بمرقند وهو قاض بها سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة .
وقال أبو بكر الخوارزمي يرثيه :

ولما رأينا الناس حسيرو لهدّة
بدت بأساس الدين بعد تأطد
أفضنا دموعاً بالدماء مشوبة

وقلنا : لقد مات الخليل بن أحمد !
قلت : بعد توطد ، وتوطد الشيء ثبت ، ولم ترد (تأطد)
في كلام ، ولما اضطر الوزن أبا تمام إلى أن يقول في بيت له

(١) جاءت (دميم) في الجليلين في (نزهة الألباء) بالدال أيضاً ...

قلت : (حالى بحمد الله حال جيد) والحال يذكر وإن كان
التأنيث أكثر .

ج ٨ ص ٢١ : ورفع مناوور العلم .

وجاء في الشرح : وجمعها (أى منارة) مناوور لا تقلب الواو
همزة لأنها أصيلة ، والقلب إذا كانت زائدة ، وكانت في الاصل
(منائر) .

قلت : الأصل صحيح . والقاعدة في هذا الجمع معلومة ، وشذت
منائر ومصائب . وقد ورد الجمعان في كلامهم ومعجماتهم . وكان
ابن جني يقول : همزة مصائب من المصائب ...

ج ١٥ ص ٩١ : كتب عبد الله بن المعتز إلى علي بن مهدي :
يا بإخلاص بكتابه ورسوله ألردت تجمل في الفراق فراقا
إن اليهود تموت إن لم تحيا

والنأى يحدث للفنى إخلقا
فكتب إليه علي بن مهدي :

لا والذي أنت أسنى من أعجده
عندي وأوفاهم عهداً وميثاقاً
ما حلت عن خير ما قد كنت تعهده

ولا تبدلت بمد النأى أخلاقاً
قلت : (والنأى يحدث للفنى أخلاقاً) يفتح الهمزة جمع خلق ،
وهو ما أراده ابن المعتز .

ج ١٦ ص ٢٦٢ : وكان (الحريري) غاية في الذكاء
والفطنة والفصاحة والبلاغة وله تصانيف تشهد بفضله ، وتقر
بنبيله ، وكفاه شاهداً كتاب القامات التي أبربها على الأوائل ،
وأعجز الأواخر . وكان مع هذا الفضل قذراً في نفسه وصورته
ولبسته وهيئته ، قصيراً ذمياً بخيلاً مبتلى بنتف لحيته .

قلت : ذمياً لا ذمياً .

في الأساس : دمت ودمت^(١) دمامة ، وهو دميم الخلق
ذميم الخلق ، وقد أدمت فلانة وأدمت جاءت به كذلك .

(١) - دم من يئن ضرب وتعب ومن جاب قرب لفة (المصباح)

(انأطدت) (١) وهي (انطدت) ضجّ اللغويون ، ونقد الناقدون .
وأبو بكر من الممّر والخطأ في بيته في مندوحة .

* ج ١٦ ص ٩٩ : كتب الفتح بن خاقان إلى الجاحظ كتاباً يقول في فصل منه : إن أمير المؤمنين يحمّد بك ، ويهش عند ذكرك ، ولولا عظمتك في نفسه لملك ومعرفتك لحال بينك وبين بمدك عن مجله ، ولنصبت رأيك وتديرك فيما أنت مشغول به ومتوفر عليه ، وقد كان ألقى إلى من هذا عنوانه ، فزدتك في نفسه زيادة كف بها عن تحشيمك ؛ فأعرف لي هذه الحال (١) ...

قلت . يحمّد بك من وجد يحمّد لا من جد يحمّد . ووجد به : أحبه واعتبط به كما في النهاية . ولأبي العباس الزراري :
لي صديق قد صيغ من سوء عهد

ورماني الزمان فيه بعد
كان وجدى به فصار عليه وظريف زوال وجد يوجد
(١) تنكّر منزلة أبي عثمان عند السلطان

وجدى به : جى إياه ، ووجدى عليه غضبي عليه . ولهذا
الفعل مصادر ومعان كثيرة تذكرها المعجمات .

* ج ١٦ ص ١٦٣ : وهذا كعب بن مالك الأنصاري عتب على امرأته فضرها حتى حال بنوها بينهما فقال :
لولا بنوها حولها لحبطها إلى أن تُداني الموت غير مذم (١)
ولكنهم حالوا بمنى دونها فلا تعدسهم بين ناه ومقسم
فالت وفيها حاش من عبطها

كحاشية البرد اليماني المسهم (٢)
وجاء في الشرح : الحاش : أصلاً جماعة للتخل ، ولا واحده .

(قلت) : جائش - بالجيم - أى فائض ، سائل .
و (قلت) : أكرم من الشعر التقدم شعر القاتل :
رأيت رجالاً يضربون نساءهم

فشلت يميني حين أضرب زينا
(١) في البيت خرم ، وهو كثير في شعر ولا يكون إلا في أول
الجزء في البيت .
(٢) عبطها : دما في السجاح : الميظ من الدم الخالص الطرى

العالم العربي كما رأيته

تأليف

رحالة مصر الكبير الأستاذ محمد ثابت



عمل جليل قام به المؤلف تأييداً للوحدة العربية وشداً
لأواصرها ونشراً لما هي عليه من ثقافة ومدنية . فمن
الحجاز إلى عدن ومن العراق إلى رباط ومن بلاد الريف إلى
فلسطين ماراً بمصر والسودان وطرابلس وتونس والقيروان
وجبل الأولياء والمكالك وبابل ومبكي اليهودى وقبر صلاح
الدين ومدينة غموز وغيرها من بلاد العرب لعدسة الثمن
٣٠ قرشاً عدا أجرة البريد ويطلب مع جميع مطبوعاتنا من
المكاتب الشهيرة ومكتبة فكتوريا بالأسكندرية

شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بصيرة

١٢ شارع الشيخ محمد عبده بجوار الأزهر

تليفون ٥١٣٢٢ - ص . ب القورية رقم ٧١



أكبر المطابع العربية وأشهرها

بها أعظم استعراة لفسر المؤلفات

الحريرية والمكتب العربية

بحث في الصلاة

للدكتور جواد علي

بين يدي رسالة للمستشرق اليهودي المعروف المروف أويكين ميتوخ (Eugeen Mittwoch) بحث فيها عن الصلاة عند المسلمين وقارن بينها وبين الصلاة عند اليهود. وقد أجهد المستشرق نفسه ليصل إلى نتيجة كان يقصدها ويريدها قبل الدخول في الموضوع، هي أن الرسول الكريم أخذ صلاته من صلاة اليهود كما أخذ سائر الطقوس والعبادات^(١).

وبين يدي أيضاً بعض الأبحاث العلمية التي قام بها نفر من المستشرقين في نفس هذا الموضوع، أي تطور الصلاة ونشوء العبادات في الإسلام، كبحت المستشرق المجري اليهودي كولنزهير (Goldzyher) وبحت المستشرق الهولندي جوينبول (Juynbole)^(٢) وأبحاث المستشرق المرحوم بيكر (Becker)^(٣) وهي تسير على نفس الأسلوب ولكنها تختلف في النتائج. إذ من رأى هؤلاء أن النبي عليه الصلاة والسلام أخذ صلاته وعبادته عن النصارى لا اليهود.

وبالنظر إلى ما في أبحاث هؤلاء المستشرقين من أمور لا تقرها الحقيقة رأيت أن أكتب في هذا الموضوع، وأن أقارن بين الصلاة في الإسلام وبين الصلاة في اليهودية خاصة، لكونها أساس الصلاة عند المسيحيين فأقول:

أجمعت المذاهب الإسلامية قاطبة على أن هنالك خمس صلوات مفروضة في اليوم، وأجمعت كذلك على عدد الركعات؛ فصلاة الصبح ركعتان، وصلاة الظهر والعصر والعشاء أربع ركعات إلا صلاة المغرب فإنها ثلاث ركعات^(٤).

(١) راجع بحثه المقدم إلى الأكاديمية الملكية البروسية سنة ١٩١٢ بعنوان تطور الصلاة الإسلامية وطقوسها.

(٢) راجع بحث (Juynboll) الذي طبعه في مدينة ليدن الهولندية عام ١٩١٠ بعنوان Handbook of the Islamic law.

(٣) راجع أبحاثه في مجلة (الإسلام) السنة الثالثة ج ٤ عن رأى المستشرق المجري راجع كتابه «دراسات إسلامية» ج ١ ص ٣٥.

(٤) راجع كتب الفقه في بحث الصلاة على اختلاف المذاهب مثل كتاب الوضع لأبي زكريا الجناووني يحيى بن الحخير (القاهرة) المطبعة البارونية ١٣٠٥هـ، وكتاب النيل وشفاء الليل لعبد العزيز إبراهيم المصري، وكتاب شرح النيل وشفاء الليل للانطيسي وهي على مذهب الإباضية.

ولم تختلف المذاهب الإسلامية قديماً وحديثاً في الشكل الأساسي للصلاة ولا في هيكلها وكيفيةها، وإنما اختلفت في مسائل فرعية طفيفة لا علاقة لها بالوضع العام للصلاة. فطريقة الركوع والسجود واحدة بين الجميع، وعدد الركعات ثابت كما قلنا، والاتجاه نحو القبلة واجب لا خلاف فيه. وأما فيما عدا ذلك مثل الجهر بالقراءة أو الإخفات، وإسبال اليدين في الصلاة أو «التكثيف» فوق السرة أو تحتهما، وجواز القنوت أو عدم جوازه، ورفع السبابة في التشهد أو عدم رفعها وإدارة الرأس نحو اليمين واليسار حين السلام أو عدم ذلك، ثم الحد الأدنى للآيات التي يجب قراءتها في الصلاة، وأمثال ذلك، فإن كل هذه لا تؤثر على هيكل الصلاة

وشكلها كما قلنا ويكاد يصعب على غير المسلم تمييز هذه النقاط «والصلاة هي الدعاء وعبادة الله الرحمن الرحيم بأقوال وأفعال ونظام وترتيب جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام واتبه الصحابة وفرد أئمة الدين الذين تفرغ كل منهم لوصف ما وصل إليه وتحصيله من صحيح العلم ودقيق العمل كما كان عن النبي صلى الله عليه وسلم وما فعل الصحابة الذين عاصروه وقاموا باتباع ما جاء به.. ولكم في رسول الله أسوة حسنة...»^(١).

والصلاة مظهر من مظاهر تبليق الفرد بحالقه وواجب من واجبات الإنسان الدينية والانفرادية والاجتماعية في كل الأيام وعند جميع الشعوب وهي التكلم مع الله وطلب ما يحتاج إليه الإنسان مع الشكر لأجل المراحل الإلهية^(٢). ففي الصلاة إذاً عنصران: عنصر الشكر للاله ومدحه وتبجيله على عظمته وبديع صنعه؛ وعنصر الطلب من الله القوى القهار الذي يسأل فيجيب وهي فرض في الإسلام واجب لأنها ركن من أركان الدين ولأنها «مفتاح من مفاتيح الجنة»^(٣) والصلاة عماد الدين^(٤).

جاء في القرآن الكريم «فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون»^(٥) وجاء في القرآن الكريم أيضاً «ما سلككم في

(١) راجع كتاب الإسلام لميدلطن حسن. القاهرة سنة ١٩٣٢ ص ٢٣٨.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ج ٢ ص ١٢. طعة الجمعية البروتستانية Hastings. Dictionary of the Bible P. 744.

(٣) كترالعمال ج ٤ ص ٦٤. نمرة ١٠١٩. P. 5. Mittwoch.

(٤) كترالعمال حيدر آباد ١٣١٤ ج ١ ص ٢٢ نمرة ١٢٠٦.

(٥) القرآن الكريم.

وكلمة « صلاة » آرامية في الأصل ثم استعملها اليهود فأصبحت لفظة آرامية عبرية^(١) دخلت اللغة العربية عن طريق اليهود أو المسيحيين^(٢). استخدم اليهود هذه الكلمة (صلوة) (Salûte) في الأزمنة المتأخرة من عهد التوراة حتى أصبحت كلمة مألوقة ذات معنى ديني خاص^(٣). وفي القاموس « والصلوات كنائس اليهود وأصله بالعبرانية صلوته »^(٤) ومن جملة الصلاة « الدعاء » إلا أن « الدعاء » في الإسلام هو الابتهاال إلى الله بالسؤال والرغبة فيما عنده من خير . ويقابل لذلك في العبرية كلمة « تمنونيم » ومعناها التضرعات والدعاء ! وأما الصلاة التي هي ركوع وسجود فإليها تقابل لفظة « تفلوت » التي تعني صلوات^(٥) قبل أن تخصص الصلاة عند اليهود بكلمة « صلوته » الآرامية في عهد التوراة المتأخرة^(٦).

والذي لاحظته المتتبعون أن الشعوب القديمة حتى البربرية منها كانت تقوم بفروض دينية يصح أن نطلق عليها لفظة « صلاة »^(٧) ومن ين ما عثر عليه النقبون بعض النصوص القديمة التي كان يقرؤها الآشوريون والبابليون في الصلاة^(٨). والصلاة عادة طقوس خاصة وشرائط لا بد منها ؛ وبدون هذه الشروط تكون الصلاة باطلة غير مقبولة مثل ضرورة النسل وشروط الملابس والبخور والوضع في المبد وما يجب على المرء أن يقوم به أثناء الصلاة وهي تختلف باختلاف الأمم وعقليات الشعوب . وقد لعبت الصلاة في العصور الوثنية دوراً هاماً . اعتقد الوثنيون أن المرء متى أحسن أداء الصلاة وقرأ النصوص التي لا بد منها كما هي مكتوبة وقام بجميع أركان الصلاة وناجى آلهته في صلاته بأسمائها الصحيحة فإن الآلهة تلبى طلب المصلي لا محالة وتجبر على إجابة رغبته حتماً^(٩).

(١) mittwoch. P. 6.

(٢) نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر أيضا بحث المتشرق كولنزه بنوان دراسات إسلامية ج ١ ص ٣٥ .

(٤) القاموس ج ٤ ص ٣٠٣ .

(٥) mittwoch. P. 6.

(٦) نفس المصدر .

(٧) راجع Encyclopediea Britanica art Prayer .

(٨) The Religions of the East P. 17

(٩) The old Persian Religion. 1920 P. 22

سفر؛ قالوا لم تكن من الصليين ولم نك نعظم المسكين، وكنا نخوض مع الخائضين، وكنا نكذب بيوم الدين، حتى أتانا اليقين»^(١) وجاء عن النبي (ص) أنه قال « من ترك الصلاة متمعداً فقد كفر جهاراً »^(٢) وجاء أيضاً « من ترك الصلاة متمعداً أحبط الله عمله وبرئت منه ذمة الله حتى يرجع الله توبته »^(٣). فالصلاة إذاً فرض واجب على كل مسلم ؛ من تركها متمعداً فهو ليس بمسلم^(٤) وعد كافراً وجازقته^(٥). وفي الكتب التي أرسلها الرسول إلى القبائل العربية ذكر للصلاة بعد الإيمان^(٦) وفي الحديث « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً »^(٧)

والصلاة في الأصل الدعاء والرحمة والاستغفار والبركة^(٨) ثم خصصت لنوع معين من أنواع العبادات فيها ركوع وسجود وحركات معينة وفواعد ثابتة لا تتأثر بإرادة المصلي ولا برغبته وميوله ولا بالوقت الذي يريده إذا كانت الصلاة مفروضة واجبة^(٩) وللصلوات شكل معين معلوم وإن لم يعينه القرآن إلا أنه معين باتفاق الصحابة والمذاهب الإسلامية عليه .

ثم إن الصلوات اليومية الخمس تؤدي في أوقات معينة معلومة لا يمكن المصلي أن يتخطاها وإلا اعتبر مقصراً وأصبحت صلاته باطلة . وأما الدعاء فإنه يكون في أي وقت كان وفي أي صورة يريدها المتضرع ؛ فهو لا يتقيد بقيود ولا يتعين بشكل خاص ولا يكون في الصلاة إلا في مواضع معينة مخصوصة .

(١) قرآن الكريم .

(٢) الإسلام ص ٢٤٠ .

(٣) الإسلام ص ٢٤٠ .

(٤) الإسلام ص ٢٤٠ . mittwoch. P. 5.

(٥) التبريد ص ١٠٥ طبعة (Juynball) ص ١٠٥ .

(٦) راجع الكتب التي أرسلها الرسول إلى القبائل العربية بعد

إسلامها . mittwoch. P. 5.

(٧) في التبريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للحسين بن المبارك

الزبيدي ج ١ ص ١٣ « شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن

محمداً رسول الله وإقام صلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من

الغنم الخمس » وفي ج ١ ص ٨ « بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله

إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان .

(٨) قاموس ج ٤ ص ٣٠٣ . لمصباح النير ج ١ ص ٥٣ .

المطبع الأميري بمصر ١٩١٠

(٩) mittwoch. P. 6.

بذلك الشمس والقمر ؛ لأن عقلية الإنسان الابتدائي تميز هذين الجرمين لكبرهما عن الأجرام الأخرى بسهولة ، ولذلك كان الشروق والغروب ووقت الزوال أحيانا من أوقات الصلاة المفروضة لدى غالبية الأمم والقبائل والشعوب ^(٢) .

وحتمت الديانات الآرية القديمة والسامية منذ أقدم الأزمنة على الإنسان الصلاة في أوقاتها ، فن الواجبات الدينية على كل رجل من أتباع زردشت بلغ سن التكليف الديني ^(٣) أن يصلي ثلاث مرات في اليوم صباحاً وعصراً ووقت العشاء (المغرب) وعليه فضلا عن ذلك صلاة (Ashewvohu) وهي الصلاة التي يجب على كل رجل أدائها حين ذهابه إلى الفراش لأجل النوم ، وبعد نهوضه من النوم مباشرة ^(٤) .

موراد علي

(البقية في العدد القادم)

(٢) راجع الكتب المؤلفة في تاريخ الأديان 33,4 . Yasna .

(٣) The old Persian Religion, P, 124 nirangastau 31, (٤)

ويقال القوس اليوم الطفل الفارسي في الجمع الديني متى بلغ السابعة من العمر .
راجع Zend. av 2. 243 .

(٤) Shāyast 7. 1. The old Pers Rel P, 124

وفي استطاعة المصلي أيضاً إذا ما كرر الكلمات المقدسة في صلاته طرد الأرواح الخبيثة والعوالم الشريرة عنه بل وفي المصلي استخدام الأرواح العليا لقضاء مصالحه وطلباته ولتنفيذ رغباته فيها إذا أحسن المصلي أداء الصلاة . جاء في ياسنا من دين زرادشت « وبواسطة صلاتي هذه يا مزدا (Manydāh) أرجو منك طرد الأرواح الشريرة والخبيثات » ^(١) .

ومن الأمور التي تهتم بها الشعوب في صلاتها مباشرة عدد الصلوات اللازمة على كل إنسان وتعيين أوقات الصلاة بالضبط لينسب لكل مؤمن أداء الفرائض في أوقاتها ومواقفها . وقضية الوقت هي قضية مهمة جداً فإن لم تعين أوقات الصلاة وتنضبط القسب الأمر على المؤمن وحده ، لذلك ارتبطت مواعيد الصلاة بالصلاة منذ صلى الإنسان الأول . وبالنظر إلى عدم معرفة الإنسان طريقة فنية لضبط الأوقات ، وبالنظر إلى عقيدة تقديس الأجرام السماوية والانصراف إلى عبادتها ربط الإنسان أوقات صلاته بأوقات ظهور الأجرام السماوية ؛ ولا سيما الكبيرة منها ، وأعني

(١) Persian. Religion P, 23 راجع

المكتبة أمم ما في البيت من أمم

ولجنة النشر للجامعيين

تفخر بأنها أضافت إلى المكتبة العربية أقوى نماذج النقص

الأستاذ عادل كامل	الأستاذ با كثير	الأستاذ المازني
قرشا ٢٠ طبع الأكبر ١٥ ملك من شعاع ١٥ ديك عتق (نقد)	قرشا ١٥ سلامة القس (طبعة ثانية) ١٥ وإسلامه ١٥ القرعون الموعود	٢٥ إبراهيم الكاتب ٢٥ ثلاثة رجال وامرأة ١٥ ع الماشي
الأستاذ عبد الحميد السجار	الأستاذ نجيب محفوظ	
قرشا ١٥ عشاق العرب ١٥ محمد رسول الله ١٥ عطر ودخان (نقد) ١٥ الأطفاف الأربعة ١٥ مرأيا الناس ٢٥ القى الصغير	قرشا ١٥ أبو ذر الفزاري (طبعة ثالثة) ١٥ بلال مؤذن الرسول (نقد) ١٥ في الوظيفة (نقد)	قرشا ١٥ رادوييس (نقد) ١٥ كفاح طية قريبا خان الحليل

نطلب من مكتبة مصر ومطبعتها ٦٣ شارع الفجالة

٣ - حول انهيار فرنسا

لأستاذ عربي كبير

تمة ما نشر في المدين السابقين

—>>><<<—

هذا ، وفي آخر الأمر يجب علينا أن نشير - حيثما بحث عن أسباب انهيار فرنسا - إلى سبب آخر ، سبب يجب أن يعطى الموقع الأول بين سلسلة الأسباب ، بل يجب أن يعتبر السبب الأسمى ، بل هو علة العلل ...

هذا السبب هو علائم بلبلة الآراء وفوضى النزعات التي كانت تسود فرنسا إزاء مظاهر وحدة الكلمة وتراص الصفوف التي كانت تميز ألمانيا ...

لقد دخلت ألمانيا الحرب ، وهي متحدة الكلمة ، تسيروا زعيم واحد تثق به ثقة لا حد لها ، وتنتج نحو هدف عام يعرفه الكل ويقده الجميع ... في حين أن فرنسا كانت منقسمة على نفسها في معظم أمورها ، وقد بلغت فيها الشبهوات الحزبية درجة تكاد تنقلب على الفكرة الوطنية ، وتعددت الأحزاب تعدداً لا مثيل له في التاريخ ، فلم يبق حزب قوى يستطيع أن يضم الأكتريه ويدعم الحكومة ، حتى بالاتفاق مع حزب ثان ، فأصبح من الحتم على كل حكومة تسمى إلى تسيير دفة الأمور أن تتفنن في إجراء ترتيبات معقدة بين عدة أحزاب متخالفة ...

وبما أن مثل هذه الترتيبات المعقدة تكون عرضة للتغيير السريع بتقلب الظروف ، أصبح التوازن الحكومي شبيهاً بالأعمال البهلوانية التي يقوم بها اللاعبون على الحبال ولا حاجة لبيان أن تعدد الأحزاب وتنازعها على هذا الوجه كان يفسح مجالاً واسعاً لدسائس النفعيين ، ويزعزع ثقة الشعب بالحكومات ويؤدى إلى سمعتها إلى حد كبير

وإذا كان تسيير دفة الشؤون بين هذه النزعات المتخالفة من الأمور الممكنة في الأحوال الاعتيادية فلا شك في أنه يصبح من رابع التحليلات خلال الأزمات الحزبية ، لأن الحرب تحتاج إلى أعمال منسقة تنسيقاً تاماً ، ولا سيما في هذا العهد الذي أصبحت

فيه الأعمال الحزبية غير مقتصرة على الجيوش المحاربة وحدها وغير منحصرة في ساحات القتال وحدها ، بل شاملة جميع أبناء الوطن وجميع أقسام البلاد ... فالبلبلة في الآراء والفوضى في الأعمال من الأمور التي لا يمكن أن نلتئم مع ضرورات الحرب بوجه من الوجوه ، فإذا أقدمت أمة ما على الحرب وهي ملبلة الآراء ، فلا بد من أن تتعرض إلى كوارث ونكبات

وهذا ما حدث فعلاً في فرنسا ، لأن البلبلة التي كانت تضطرب في نفوس أبنائها حين بدء الحرب ، ازدادت يوماً فيوماً من جراء سير الوقائع من جهة وبتأثير إذاعات الألمان من جهة أخرى ، ولا شك في أنها كانت علة العلل في أمر الانهيار

* * *

وهنا مسألة هامة تتطلب التفكير والاهتمام :

إن تعدد الأحزاب ولبلة الآراء لم تكن من الأمور الشاذة في فرنسا ، بل هي من الأمراض الاجتماعية المزمنة التي كانت تنخر عظم فرنسا منذ مدة غير يسيرة ، ومع هذا فأبها لم تؤد في الماضي إلى انكسار وانهيار ، لأن الأحزاب كانت تبتدع عادة منازعاتها عند ما تشعر بالخطر الخارجي ، وتسرع إلى الاتحاد والتكتل عند ما يدعوها إلى ذلك داعي الوطن ، كما حدث فعلاً في الحرب العالمية

فلماذا لم يحدث مثل ذلك في هذه المرة ؟ لماذا لم تتحد الأحزاب أمام الخطر الهائل الذي أحرق بفرنسا منذ نشوء الحرب الحالية ؟ لا شك في أن ذلك لا يمكن أن يعطى إلا بأن نقول : إن داء الحزبية كان قد اشتد إلى درجة أصبح معها لا يتأثر من ضرورات الحرب ، وإن روح الفردية كانت قد قويت إلى درجة تحولت معها إلى أنانية مفرطة تنقلب على الروح الاجتماعية والروح الوطنية . غير أن هذا التعليل لا يحل المسألة حلاً مرضياً ، فيجب علينا أن نساءل بعد هذا التعليل أيضاً : لماذا اشتدت روح الحزبية إلى هذه الدرجة ، ولماذا تقوت فكرة الفردية إلى هذا الحد ؟

إنني أعتقد أن الدعايات الشديدة المستمرة التي قامت في طول فرنسا وعرضها منذ سنوات ضد النظام النازي والفاشي لم تحل من التأثير الشديد في هذا الباب . إن تلك الدعايات كانت تستهدف - في حقيقة الأمر - تبغيض ألمانيا وإيطاليا ، غير

ولذلك استمرت في فرنسا الأمراض والنزعات السياسية والأخلاقية النفسية التي شرحتها آفكا ، خلال الحرب أينما ... ولا شك في أن هذا الاستمرار كان أهم الأسباب التي أدت إلى الانهيار .

* * *

ومن الغريب أن دعايات « الحرية والفردية » المفرطة التي كانت انتشرت في فرنسا فأدت بها إلى الانهيار كما اسلفنا أثرت تأثيراً عميقاً في آراء عدد غير قليل من كتاب العرب . فراح بعضهم يردد تلك الدعايات بحماس شديد ، حتى بعد ظهور أضرارها الفادحة للعيان في الولايات والنكبات التي جبرتها على فرنسا نفسها ...

فقد نشر أحد الكتاب المشهورين^(١) ، في إحدى المجلات المصرية الشهيرة ، سلسلة مقالات حول فرنسا ، بعد انهيارها ، أبدى فيها من الآراء ما يستوقف النظر ويتطلب النقاش ...

فقد وصف الكاتب المحترم ، في مقالاته هذه « الحالة النفسية التي كانت وصلت إليها فرنسا قبل الحرب الحالية بكلمات صريحة » فكتب - في مجلة ما كتبه في الأقسام المختلفة من مقالاته المذكورة - الكلمات التالية :

« كانت شهوة السياسة الحزبية في فرنسا أقوى من الفكرة الوطنية »

« امتلأ الفرنسي بنفسه ، وأصبح الفرد كل شيء ، يؤثر نفسه بكل شيء ، يؤثرها بأعظم حظ ممكن من اللذة ، ويجنبها أعظم حظ ممكن من الألم ... »

« استجاب الفرنسي لداعي العقل الفردي ، أكثر مما استجاب لداعي العقل الاجتماعي . »

« قد رأى الفرنسي أن الحياة لم تمنح للناس ليبدلوا في الجهود المضنية التي تنهى إلى الفناء ، إنما منحت للناس لتكون عليهم نعمة ليستمتعوا بلذاتها وليتجنبوا آلامها ... »

« فرنسا آثرت نفسها بالعاية واللذة ونعم الحياة ... » أنا لا آخذ على نفسى مسؤولية هذه الكلمات القاطمة ، ولا أشترك في إطلاقها وتميمها على هذا المتوال . ومع هذا ، أرى من الضروري أن ننم النظر فيها قليلاً ...

(١) الدكتور طه حسين

أنها كانت تهاجم قبل كل شيء النظام الجديد الذي اختارته لنفسها كل واحدة من هاتين الدولتين مهاجمة عنيفة ، وذلك من وجهة تأثيرها على الحرية الفردية في الدرجة الأولى ، ولذلك أخذت الدعايات المذكورة تستمد قوتها من (فكرة الحرية) و (نزع الفردانية) المنتشرة في البلاد ، فصارت تزدري حتى به (روح التكاتف والتراص) و (دعوة التوحيد والتضحية) التي يتضمنها هذان النظامان ، فإن الكتاب والخطباء كلما أرادوا تزييف النازية ومهاجمتها لوحوا أمامها بعلم « الحرية المطلقة والفردية التامة » دون أن ينتبهوا إلى التأثيرات والأضرار التي قد يحدتها ذلك في داخلية البلاد ونفسية الناس . على هذا الوجه تقوى الداء وتأصل ، وصار الناس يمجدون « الحرية » تمجيداً مطلقاً ولو أدت إلى الفوضى ، وينفرون من (التوحيد) ولو أصبح ضرورياً لحياة الأمة ، ويستسلمون في (الفردية) ولو تحولت إلى أنانية فتاكة ... وفي الواقع أن مخاطر هذه الأمور لم تبق خافية على أنظار جميع الفرنسيين بطبيعة الحال ؛ فقد ظهر بين رجال الفكر والسياسة من شاعر بالأخطار التي ستنتج عن استمرار هذه الأحوال ، ومن أخذ يعارض الإفراط في فكرة الحرية فيدعو إلى جمع الصفوف وتوحيد الكلمة ، حتى ظهر من يحمل بعض الحملات على روح الفردية والأنانية ... غير أن الدعايات التي ذكرناها آنفاً ، كانت أثرت في النفوس تأثيراً عميقاً حتى صار الناس ينظرون إلى كل محاولة من هذا القبيل كضرب من ضروب النازية أو الفاشية ، كما أخذوا يهتمون معتنق مثل هذه الآراء بخدمة الأعداء وخيانة الوطن وعبثاً حاول بعض الكتاب والفكرين أن يرشدوا الناس إلى سواء السبيل بقولهم : « يجب أن نكره النازية من حيث سياستها الخارجية وحدها ، ولم يشمل كرهنا لها جميع أعمالها وجميع خصائصها ... ومهما كرهنا النازية من وجهة سياستها الخارجية فيجب ألا ننكر بأنها قامت بأعمال هامة في سبيل الإصلاحات الداخلية والتنظيمات الشعبية ، وإن بعض تلك الأعمال الداخلية جدير بالإعجاب وحرى بالاعتناء ... » غير أن أصوات هؤلاء الفكرين ضاعت بين صرخات الصارخين الذين ظلوا يهاجمون النازية من جميع الوجوه باسم الحرية ... ويستخفون بجميع مبادئها وأعمالها باسم الفردية ...

« إن الحياة الحرة ... خليفة أن تشتري بأغلى الأثمان ... »
 إن سياق الكلام — في المقالات المذكورة — يدل دلالة صريحة
 على أن التمني هنا هو « كيان الدولة » و « حياة المجتمع » ...
 فهل يجب علينا أن نسلم بهذا القول ؟ هل يجوز لنا أن نقدم
 « الحياة الحرة » على كيان الدولة « وعلى مصالح المجتمع الحيوية » ؟
 وهل يمكننا أن نضحى « الحياة الحرة » بتضحية حياة الدولة
 وكيانها ؟ ...

أنا لا أرى لزوماً لإطالة الحديث في الإجابة على هذه الأسئلة ،
 ومع هذا أرى من المفيد أن أذكر كلمة قالها قبل الحرب العالمية
 أحد عظماء السياسة في فرنسا ، وكلمة أخرى كتبها أحد كبار
 الأدباء ...

في عهد وزارة بريان استمد الاشتراكيون لحل الناس
 على إضراب عام يشمل عمال وموظفي السكك الحديدية ، ليشلوا
 جميع الأعمال والحركات في طول البلاد وعرضها . فلما اطلعت
 الحكومة على أخبار هذه الاستعدادات اعتنقت بأن ذلك قد
 يؤدي إلى كارثة كبرى ، نظراً لما كانت تعرفه عن اعتماد ألمانيا
 نظراً لاحتمال إقدامها على انتهاز فرصة هذا الاضطراب العام
 للاستيلاء على البلاد استيلاء فجائياً ... قررت الحكومة الفرنسية
 أن تتخذ تدبيراً حاسماً في هذا الضار ، والتجأت إلى طريقة
 التجنيد . جندت عمال السكك الحديدية قبل يوم الإضراب ،
 وأمرتهم بتسيير القطارات بصفهم جنوداً وضباطاً . ومن المعلوم
 أن العامل حر في العمل أو الإضراب غير أنه يفقد هذه الحرية
 — بطبيعة الحال — عندما يصبح جندياً ... وبهذا التدبير
 استطاعت الحكومة أن تفسد على الاشتراكيين ترتيباتهم في هذا
 الباب وأن تحول دون تحقيق الإضراب العام الذي كانوا يستعدون له
 منذ مدة .

هذا التدبير سبب هياجاً عظيماً على الحكومة ، فأخذ المعارضون
 يقولون هذا إخلال بأحكام الدستور ، وإنه تعد على حق الحرية ...
 غير أن رئيس الحكومة رد على هذه الاعتراضات قائلاً : « إن
 العمل الذي قُت به لا يخالف الدستور ولا يكون تعدياً على حرية
 الأفراد . ومع هذا أود أن أصرح من على هذا المنبر بأنني لو

إن هذه الصفات الأخلاقية ، وهذه النزعات النفسية ، هذه
 الفردية المفرطة التي لا تفكر في شيء غير نفسها . والتي تتجنب
 الجهود المضيئة على اختلاف أنواعها ، فتحاول أن تنال أعظم
 حظ ممكن من اللذة ... والتي تؤثر نفسها على الدوام بالعاقبة
 واللذة ونعيم الحياة ... كل من ينعم النظر في هذه الصفات ،
 يضطر إلى التسليم مما بأنها تدل على شيء واحد ، هو « التفسخ
 الأخلاقي » وتؤدي بطبيعة الحال إلى نتيجة واحدة ، هي « الانحلال
 الاجتماعي » ...

غير أن الكاتب المحترم ، لا يقول بذلك ، بل بالعكس
 يرى في كل هذه الصفات والحالات أثراً من آثار التحضر
 والتثقف ، ونتيجة من نتائج الأمان في الحضارة والثقافة . إنه يملأ
 كل واحدة منها بقوله : « إن الفرنسي قد تحضر وأمن
 في الحضارة » و « ومضت فرنسا في الحضارة إلى أقصى غاياتها »
 ويكرر ذلك مرات عديدة ، ويعتبر كل ذلك من نتائج « الحضارة
 والثقافة » الطبيعية ، حتى إنه يقول بكل صراحة ما يأتي .

« إن أية أمة من الأمم تبلغ من الثقافة ما بلغت فرنسا وتلك
 بالثقافة الطريق التي سلكتها فرنسا منتهية من غير شك إلى
 مثل ما انتهت إليه فرنسا ...

ويزيد على ذلك قائلاً . « نحن بين طريقين » إما أن نستقبل
 الثقافة أحراراً (يريد مثل ما تفعل فرنسا) وإما أن نستقبلها
 مقيدين (يريد مثل ما تفعل ألمانيا) كما يقول أخيراً « أما أنا
 فاختار الطريق الأول وأقبل أن أتعرض لما تتعرض له الأمم الحرة
 من ألوان الخير والشر ومن اختلاف الخطوب » ويعمل اختياره
 هذا بنزوعه إلى الحرية حيث يقول : « إن الحياة الحرة ... خليفة
 بأن نشترها بأغلى الأثمان » ...

أنا لا أستطيع أن أشارك الكاتب المحترم في آرائه هذه ...
 ولا أسلم بأن الأحوال والصفات التي ذكرها « نتيجة طبيعية »
 للأمان في الحضارة والثقافة ، كما لا أسلم بصحة رأيه في انحصار
 الأمر بين طريقين لا ثالث لهما ؛ غير أن حديثي قد طال
 ولكن من الضروري ألا أنهي حديثي دون أن أناقش
 الكاتب المحترم قليلاً في كلمته الأخيرة .

الاجتماعى جانباً ، فأخذ بقدس تلك الفردية ... هذا الجيل ... قد
أوصل فرنسا إلى هذه التكتبات ...
إننى أعتقد أن هذه النتيجة يجب أن تكون درساً لجميع

شبان العرب ...

فأنا أود أن يعرف الكل أن الحرية لم تكن غاية قائمة بنفسها ،
بل هى واسطة من وسائط الحياة العالية ... والمصالح الوطنية التى
تتطلب من المرء أحياناً تضحية الحرية أيضاً فى بعض الظروف ...
إن كل من لا يضحي بحريته الشخصية فى سبيل حرية أمته
— عند ما تقتضيه الحال — قد يفقد حريته الشخصية مع حرية
قومه ووطنه ...

وكل من لا يرضى أن (يفتى) نفسه فى الأمة التى ينتسب
إليها — فى بعض الأحوال — قد يضطر إلى « الفناء » فى أمة
من الأمم الأجنبية التى قد تستولى على وطنه فى يوم من الأيام ...
ولذلك فأنى أقول بلا تردد وعلى الدوام ...
الوطنية والقومية قبل كل شيء ، وفوق كل شيء ...
حتى فوق الحرية ، وقبل الحرية ...

(س)

سلي والعبيط

وبحى

هى قصة اليوم

قصة النفس الحائرة

قصة الأدب الشق المعيد

قصة الحياة كما هى

قصة الضحك والبكاء

دار المعارف للطباعة والنشر فى ٢٧٢ صفحة

نمها ٢٥ قرشاً — تولى نشرها المؤلف

تطلب من : مكتبة المعارف ، والتهفة ، والانجلو ، والأهلية ،
والتجارية ، وغيرها .

للمؤلف : الياس عكاوى ١٧ شارع فؤاد الأول القاهرة
تليفون ٤٣٩٠٩

كنت أعلم بأنه مخالف للدستور ولحق الحرية .. لما أحججت عن
القيام به .. لأننى أعتقد أن حياة فرنسا أغلى من الدستور ،
وأتمن من حرية الأفراد ...»

إن ساسة فرنسا الذين كانوا يحملون مثل هذا الاعتقاد قادوا
بلادهم إلى النصر فى الحرب العالمية المتصرمة .. وأما رجال فرنسا
المجدد الذين فقدوا هذا الاعتقاد وصاروا يعتبرون هذه الأعمال
ضرباً من ضروب النازية ... فقد أوصلوا بلادهم إلى وادى
الاندحار ...

هذا وأذكر أننى حضرت رواية فى باريس قبيل الحرب
العالمية عنوانها (العرب) يصور فيها مؤلفها ضابطاً من كبار
ضباط البحرية الفرنسية يعيش مع راقصة مغربية تتحدر من
عشيرة مراكشية ، وللضابط أخ شاب مأخوذ بالآراء والنظريات
المعارضة للخدمة العسكرية . يفر هذا الشاب من الجندية ،
غير أن أخاه الضابط يتمكن — بعد سلسلة وقائع — من
إقناعه وإعادته إلى حظيرة الخدمة الوطنية . تقف المرأة المغربية
دهشة أمام خضوع الشاب لكلمات أخيه هذا الخضوع ،
فتسأل : ألم يكن هذا الشاب حراً ؟ فكيف يخضع لأوامر
الضابط كأنه كلب مطوق بالأغلال أو عبد يمتثل لأوامر سيده
الذى اشتراه بماله الخاص ؟ ؟

أما الضابط فيتسم لأقوال خليلته المغربية ، وعند ما يحتل
بها يقول لها ما مؤداه « إن الحرية فى نظرنا نحن الغربيين ،
هى غير الحرية التى تفهمونها وتطلبونها أنتم الشرقيين . الحرية فى
نظركم هى أن يرتدى المرء برنسه ويعتلى صهوة جواده فينطلق فى
الصحراء حيث شاء ... أما نحن فلا نطلب حرية مثل تلك
الحرية ، فإن كلاً منا يحمل فى عنقه أغلالاً وأصفاداً ... أغلالاً
وأصفاداً مصنوعة من ذهب معنوى ... من ذهب المنعمات
والتاريخ والواجبات ... نحن نحب تلك الأصفاد بكل جوانحنا ،
ونحمل تلك الأغلال بكل سرور ... نحن نبجل تلك الأصفاد
والأغلال ، بل نقديسها كل التقديس ... »

إن الجيل الذى يقول مثل هذه الأقوال قد قاد فرنسا إلى
المجد والنصر ، وإن الجيل الذى عبد عن تقديس الأغلال
الاجتماعية فأخذ يتمسك بالحرية المطلقه ... الجيل الذى ترك التساند

لزوم ما لا يلزم متى نُظِم وكيف نُظِم ورتب ؟ للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٢ —

تأدرس عليهم ألف دينار . وخرج الشيخ أبو العلاء المرى إلى أسد الدولة صالح وهو بظاهر المرة وقال له : مولانا السيد الأجل أسد الدولة ومقدّمها وناصحها كالنهار المانع اشتد هجيره وطاب برده ، وكالسيف القاطع لأن صفحه وخشن حداه . خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین .

فقال صالح قد وهبته لك أيها الشيخ . ولم يعلم أبو العلاء أن المال قد قطع عليهم وإلا كان قد سأل فيه .

ونقل ياقوت أيضاً عن القيفطى أنه وجد على ظهر ديوان الأعشى في مدينة فقط سنة ٥٨٩ ما بأتى : « حكي أن صالح ابن مرداس صاحب حلب نزل على مرة النمان معاصراً لها ونصب عليها المجانيق واشتد في الحصار لأهلها فجاء أهل المدينة إلى الشيخ أبي العلاء ليجزهم عن مقاومته لأنه جاءهم بما لا قبل لهم به وسألوا أبا العلاء تلافى الأمر بالخروج إليه بنفسه وتدير الأمر برأيه إما بأموال يبدلون أو طاعة يعطونها . فخرج ويده في يد قائده وفتح الناس له باباً من أبواب مرة النمان ، وخرج منه شيخ قصير بقوده رجل . فقال صالح هو أبو العلاء فجيئوني به . فلما مثل بين يديه سلم عليه ثم قال : الأمير أطال الله بقاءه كالنهار المانع الخ .

وهذه الحادثة ذكرها المرى في موضعين من اللزوميات في حرف الدال الكسورة واللام الكسورة . يقول :

تَنَبَّيْتُ فِي مَنَزَلِي بُرْهَةً سَتِيرَ الْعُيُوبِ فَقِيدَ الْحَسَدِ
فَلَمَّا مَضَى الْمَرُّ إِلَّا الْأَقْلَى وَحُمَ لِرُوحِي فَرَأَى الْجَسَدَ
بُئِثْتُ شَفِيعاً إِلَى صَالِحٍ وَذَلِكَ مِنَ الْقَوْمِ رَأَى فُسَدَ
فَيَسْمَعُ مَتَى سَجَعَ الْحَمَامِ وَأَسْمَعُ مِنْهُ زَيْبِ الْأَسَدِ
فَلَا يَعْجِبُنِي هَذَا التَّفَاقُ فَكَمْ نَفَقَتْ مَحَنَةٌ مَا كَدَ
وَيَقُولُ :

أَلَيْتُ أَرْغَبُ فِي قَيْصَرٍ مَمُوءٍ . فَأَكُونُ شَارِبَ حَنْظَلٍ مِنْ حَنْظَلٍ
نَجَسَى الْعَاثِرُ مِنْ بَرَاثِنِ صَالِحٍ رَبُّ يَفْرُجُ كُلَّ أَمْرٍ مُعْضَلٍ
مَا كَانَ لِي فِيهَا جَنَاحٌ بِمَوْضِعٍ وَاللَّهِ أَلْبَسَهُمْ جَنَاحَ تَفَضُّلٍ
فَهَاتَانِ الْقِطْعَتَانِ نَظْمَتَانِ فِي حَادِثٍ وَقَعَ سَنَةَ سَبْعِ عَشْرَةٍ
وَأَرْبَعِمِائَةٍ وَالظَّنُّ أَنَّ نَظْمَهُمَا لَمْ يَتَأَخَّرْ عَنْ هَذَا التَّارِيخِ كَثِيراً .

ثالثاً — يذكر الشاعر « محموداً » في مواضع كثيرة يقول :

يَسْلُكُ عَمُودَ وَأَمْثَالَهُ طَرِيقَ خَاقَانَ وَكُنْدَاجِ

كانت أمور الشام ولا سيما البلاد الشمالية في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس مضطربة بين سلطان الفاطميين والأمراء التتليين من بني حمدان ومواليهم ومن رؤساء القبائل العربية . وقد استولى صالح بن مرداس الكلابي صاحب الرحبة على حلب في هذا الاضطراب سنة ٤٠٢ . ثم وقعت خطوب ردت حلب إلى سلطان الفاطميين حينئذ . فلما قتل نائب الفاطميين عزير الدولة سنة ٤١٢ ، وتولى من قبلهم ابن شيبان طمع صالح ابن مرداس في التملك على نواب الفاطميين خالف اثنين من رؤوس العرب هما حسن الطائي وسنان بن عليان السكبي واتفقوا على أن يقتسموا الشام من حلب إلى حدود مصر . فصارت حلب وما يليها لصالح ، ودمشق لسنان ، والرملة وما يليها إلى مصر لحسان . وذلك عام ٤١٤ . وقد تقدمت أبيات المرى التي تذكر هذا التقسيم .

هذه حوادث وقع بعضها في العقد الأول من القرن الخامس ومعظمها في العقد الثاني . فهذه الأبيات قد نظمت كذلك في هذين العقدين ولا سيما الثاني منهما .

ثانياً — يذكر صالح بن مرداس في اللزوميات مرات أخرى لحادث آخر كان له في نفس المرى أثر باق .

نقل ياقوت عن أبي غالب بن مذهب المرى في حوادث سنة ٤١٧ من تاريخه : « صاحبت امرأة يوم الجمعة في جامع المرة وذكرت أن صاحب الماخور أراد أن يقتصبها نفسها . ففر كل من في الجامع وهدموا الماخور وأخذوا خشبه ونهبوه . وكان أسد الدولة (صالح) في نواحي صيدا فوصل الأمير أسد الدولة فاعتقل من أعيانها سبعين رجلاً . وذلك رأى وزيره تادرس بن الحسن الأستاذ . وأومر أن في ذلك إقامة للهيبة — قال ولقد بلغني أنه دُعي لهؤلاء المعتقلين بآسد وميافارقين على المنابر — وقطع

أُسِّرَ إِنْ كَتُّ مُحَمَّدًا عَلَى خُلُقٍ

وَلَا أُسْرُ بِأَنِّي الْمَلِكُ مُحَمَّدُ

مَا يَمْنَعُ الرَّأْسَ بِالتَّيْجَانِ بِمَقْدَهَا

وَإِنَّمَا هُوَ بَعْدَ الْمَوْتِ جُلُودُ

لَا كَانَتِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ يَسْرَنِي أَنِّي خَلِيفَتُهَا وَلَا مُحَمَّدُهَا

سَيَمُوتُ مُحَمَّدٌ وَيَهْلِكُ آلُكَ وَيَدُومُ وَجْهُ الْوَاحِدِ الْخَلَّاقِ

فَمَنْ مُبْلَغٌ عَنِ الْمَالِكِ مَشْرًا عَلِيًّا وَمُحَمَّدًا وَخَانًا وَالْكَافِ

فَا أَعْنَى أَنِّي كَأَجَلِكُمْ

وَلَكِنْ أَضَاهَى الْمُقْتَرِينَ الصَّعَالِكَا

وَكَلِمَةُ آلِكَ فَمَا أَظُنُّ ، يَرِيدُ بِهَا الْمَرْيَ أَلَيْكَ خَانَ وَهُوَ لَقِبُ

لِبَعْضِ مُلُوكِ تَرْكَسْتَانَ الَّذِينَ قَامَتْ لَهُمْ دَوْلَةٌ بَيْنَ سَنَةِ ٣٢٠ وَسَنَةِ

٦٩٩ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ لَقِبَ مِنْهُمْ أَلَيْكَ خَانَ هُوَ نَصْرَبْنِ عَلَى

فَاتِحٍ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ التُّوْنِسِيِّ سَنَةِ ٤٠٣ . فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ هَذِهِ

الْأَبْيَاتَ نَظَّمَتْ بَعْدَ هَذَا التَّارِيخِ . وَأَمَّا عَلَى الْمَذْكُورِ فِي الْبَيْتِ فَلَمْ

أَعْرِفْ مَنْ هُوَ إِلَّا أَنَّ يَكُونُ عَلِيًّا أَسَدَ الدَّوْلَةِ أَحَدَ أَمْرَاءِ بَنِي مُزَيْدٍ

تَوَلَّى الْمُلْكَ مِنْ سَنَةِ ٤٠٣ إِلَى سَنَةِ ٤٠٨ .

وَمَنْ مُحَمَّدٌ الَّذِي كَرَّرَ الْمَرْيَ ذِكْرَهُ وَجَعَلَهُ مَثَلًا فِي الْمُلُوكِ

وَقَالَ إِنَّهُ لَا يَسْرُهُ أَنْ يَكُونَ فِي مَنَزَلَتِهِ ، وَإِنْ الدَّهْرُ سَيَطُشُ بِهِ

كَأَيُّ بَطْشٍ بِالضَّعْفَاءِ ؟

فِي تَمْلِيْقَاتِ الطَّبِيعَةِ الْمَصْرِِيَّةِ أَنَّهُ أَمِيرُ الْمَرَّةِ إِذْ ذَاكَ . وَلَا نَعْرِفُ

مَنْ تَوَلَّى فِي تِلْكَ النَّوَاحِي ذَلِكَ الْعَصْرَ إِلَّا مُحَمَّدًا حَفِيدَ صَالِحِ

ابْنِ مُرْدَاسٍ . وَمُحَمَّدٌ هَذَا تَوَلَّى الْإِمَارَةَ سَنَةَ ٤٥٢ وَخَاصًا فِي السَّنَةِ

التَّالِيَةِ ، ثُمَّ تَأَمَّرَ مَرَّةً أُخْرَى سَنَةَ ٤٥٤ ، فَدَامَتْ لَهُ الْإِمَارَةُ حَتَّى

سَنَةِ ٤٦٨ . فَقَدْ تَوَلَّى بَعْدَ وَفَاةِ الْمَرْيَ .

وَلَا أَدْرِي لِمَاذَا أَثْبَتَ الشَّيْخُ الْمِصْنِيُّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ : « يَسْلُكَ

مُحَمَّدٌ ... الْح » أَوَّلَ فِصْلٍ مِنْ كِتَابِهِ عَنِ الْمَرْيَ عُنْوَانُهُ :

« هُوَ وَوَزِيرُهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرَبْنِ صَالِحٌ » . نَقَلَ فِي هَذَا الْفِصْلِ

مَا يُقَالُ عَنْ تَدْيِيرِ مُحَمَّدٍ هَذَا لِقَتْلِ الْمَرْيَ وَخِلَاصِ الْمَرْيَ بِالْعَدَاءِ .

وَهِيَ خُرَافَةٌ مَرْوِيَّةٌ نَقَاهَا الشَّيْخُ الْمِصْنِيُّ وَقَالَ إِنَّ مُحَمَّدًا تَوَلَّى بَعْدَ

وَفَاةِ الْمَرْيَ كَمَا قُلْتُ . فَهَلِ الْمِصْنِيُّ ، مَعَ نَفْيِهِ هَذِهِ الْخُرَافَةَ ، يَظُنُّ

أَنَّ مُحَمَّدًا الَّذِي فِي الْبَيْتِ هُوَ حَفِيدُ صَالِحٍ ذَكَرَهُ الْمَرْيَ قَبْلَ تَوَلِّيهِ

الْمُلْكَ ؟ لَا أَدْرِي لِمَاذَا أَثْبَتَ هَذَا الْبَيْتَ فِي فَاتِحَةِ هَذَا الْفِصْلِ .

وَالَّذِي أَرَاهُ أَنَّ مُحَمَّدًا الَّذِي أَكْثَرَ الْمَرْيَ ذِكْرَهُ هُوَ سُلْطَانُ

ذِي عَيْتِهِ فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ وَضُرِبَ الْمَثَلُ بِقُدْرَتِهِ وَغَنَاهُ ، هُوَ يَمِينُ

الدَّوْلَةِ السُّلْطَانِ مُحَمَّدِ بْنِ سَبْكَتِكِينَ فَاتِحِ الْهِنْدِ . وَلِهَذَا قَرَنَهُ الْمَرْيَ

بِالْخَلِيفَةِ فِي الْبَيْتِ :

لَا كَانَتِ الدُّنْيَا فَلَيْسَ يَسْرَنِي أَنِّي خَلِيفَتُهَا وَلَا مُحَمَّدُهَا

وَالسُّلْطَانُ مُحَمَّدٌ تَوَلَّى مِنْ سَنَةِ ٣٨٧ إِلَى سَنَةِ ٤٢١ . فَهَذِهِ

الْأَبْيَاتُ الَّتِي تَضَمَّنَتْ اسْمَهُ نَظَّمَتْ قَبْلَ سَنَةِ ٤٢١ وَلَا رَيْبَ ؛ لِأَنَّ

الْمَرْيَ يَذْكُرُهُ ذِكْرَ الْأَحْيَاءِ ، وَيَقُولُ : سَيَمُوتُ مُحَمَّدٌ ... الْح » .

وَيُؤَكِّدُ مَا رَأَيْتُهُ فِي مُحَمَّدٍ هَذَا أَنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ فِي اللَّزُومِيَّاتِ أَيْضًا :

مُحَمَّدُنَا اللَّهُ وَالْمُسْمُودُ خَائِفُهُ فَعَدَّ عَنْ ذِكْرِ مُحَمَّدٍ وَمُسْمُودٍ

مُلْكًا لَوْ أَنِّي خَيْرْتُ مُلْكَهُمَا

وَعُودُ صَلْبِ أَشَارِ الْعَقْلِ بِالْعُودِ

وَمُسْمُودٌ هُوَ ابْنُ السُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ اسْتَقَرَّ لَهُ الْمُلْكَ سَنَةَ ٤٢١

بَعْدَ أَنْ ظَفَرَ بِأَخِيهِ مُحَمَّدٍ . وَبَقِيَ لَهُ السُّلْطَانُ حَتَّى سَنَةِ ٤٣٢ . وَأَمَّا

السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ السَّلْجُوقِيُّ وَأَخُوهُ مَسْمُودٌ فَقَدْ مَلَكَ فِي الْقُرُونِ

الْسادسِ الْهَاجِرِي .

رَابِعًا - كَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْمَرْيَ الْوَزِيرَ مَنْ أَقَامَ بِالْمَرَّةِ ، وَكَانَ

يُودِّعُ الْمَرْيَ وَيُرَاسِلُهُ ، وَكَانَ الْمَرْيَ يُحْفَظُ لَهُ وَلَآئِيهِ مِنْ قَبْلِ

أَيَادِيهِ . فَلَمَّا تَوَفَّى رَثَاءَ بَآبِيَّاتٍ مُثَبَّتَةٍ فِي اللَّزُومِيَّاتِ . وَلَا أَعْرِفُ

فِيهَا رَثَاءَ لغيرِهِ أَوْ مَدْحًا صَرِيحًا .

لَيْسَ يَبْقَى الضَّرْبُ الطَّوِيلُ عَلَى الدَّهْرِ

ر وَلَا ذُو الْعَبَّالَةِ الدَّرِجَاهِ

يَا أَبَا الْقَاسِمِ الْوَزِيرَ تَرَحُّنًا

ت وَخَلَّفْتَنِي رُفَّالَ رَحَاهِ

وَتَرَكْتَ الْكُتُبَ الثَّمِينَةَ لِلنَّاسِ وَمَا رَحَتْ عَنْهُمْ بِسَحَاهِ

لِقِنِّي كُنْتُ قَبْلَ أَنْ تَشْرَبَ الْمَوْتَ أَصِيلًا شَرِبْتُهُ بِضَحَاهِ

إِنْ نَحْنُكَ النَّوْنُ قَبْلِي فَأَنْتَ مُتَّحَاهَا وَإِنَّمَا مُتَّحَاهِ

أَمْ دَفَّرْتُ قَوْلَ بِنْدِكَ لِلذَّا ثِقَ لَا طَعْمَ لِي فَأَنْ كَفَاهِ

إِنْ يَخْطُ الذَّنْبُ الْبَسِيرَ حَفِيفًا

لَكَ فَمِنْ مَنْ فَضِيلَةُ عَمَّاهِ

وَهَذَا الْوَزِيرُ تَوَفَّى سَنَةَ ٤١٨ . فَهَذِهِ الْقِطْعَةُ نَظَّمَتْ فِي

هَذِهِ السَّنَةِ .

خَامِسًا - يَقُولُ الْمَرْيَ :

ويجوز أن تدل هذه القطعة أنه بلغ ثمانياً وأربعين :

عش يا ابن آدم عدة الوزن الذي
يُدعى الطويل ولا تجاوزه ذلك
فاذا بلغت وأربعين ثمانياً حياة مثلك أن يوسد هالكاً
وأما ذكر الحسين فأكثر وأصرح :

حياتي بعد الأربعين منية ووجدان حلف الأربعين ففقد
فالي وقد أدركت خمسة أعقد .

أينى وبين الحادثات عقود ؟
إذا كنت قد جاوزت خمسين حجة
ولم ألق خيراً فالثنية لي رستر
وما أتوقى ، والخطوب كثيرة ،
من الدهر إلا أن يحلّ بي الهتر
....

إذا طلع الصيب الممّ خفيه ولا ترض العين الشاب المزوراً
لقد غاب عن فؤدك خمسين حجة
فأهلاً به لا دنا وتسوراً
....

وما العيش إلا لجة باطلية ومن بلغ الخمسين جاوز عمرها
....

أخمين قد أفنيها ليس نافي
بتأخير يوم أن أعرض على خمس
....

لاخير من بعد خمسين انقضت كمالاً
في أن تمارس أمراً وأرعاشاً
....

خنون قد عشها فلا تمس والنمش لفظ من قولك اتمش
....

عليقت بجمل المعرخمين حجة فقدرت حتى كاد ينصرم الجبل
....

كأنك بعد خمسين استقلت لمولك ، البناء دنا ليهوى
وقد ذكرت الخمسون في ثلاث قطع أخرى ، في حرف
الطاء والكاف والميم . ولم تذكر الستون في اللزوميات قط .
وجاء ذكر السبعين في قوله :
من عاش سبعين فهو في نصب . وليس في العيش بعدها خير

(ينج) عبر الوهاب عزام

الم ترقى جميع الأنام في دولة الكذب الدائل
مضى قيل مصر إلى ربّه وخيل السياسة للخالل
وقالوا يعود فقلنا يجوز بقدره خالقنا الآئل
إذا هبّ زيد إلى طيّء وقام كليب إلى دائل
أظن أن قيل مصر المعنى في هذا البيت هو الحاكم بأمر الله
الفاطمي ، فهو الذي انتظر بعض الناس عودته . والحاكم هلك
سنة ٤١١ . فالظاهر أن هذه الأبيات نظمت قريباً من هذا التاريخ .

(ب) من المرى في اللزوميات :

يذكر المرى سنّه في اللزوميات تصريحاً وتلويحاً ؛ تارة
يقول بلغت كذا أو جاوزت كذا ، وتارة يقول : إذا بلغ الإنسان
كذا آن له أن يرعى أو حان له أن يهلك . وقد عبرت اللزوميات
مستقياً الأبيات الذي يذكر فيها سنّه ؛ فإذا هو يذكر الأربعين
مراراً ويذكر الحسين كثيراً ولا يذكر ما دون الأربعين إلا مرة
واحدة قدمت الكلام فيها ، ويذكر السبعين مرة سائتها
من بعد .

يقول في الهزمية التي افتتح بها اللزوميات :

إذا ما خبت نار الشبية ساء لي ولو نصّ لي بين النجوم رضاء
أرايبك في الودّ الذي قد بذلته

فأضعف إن أجدي لديك رياء
وما بعد مرّ الخمس عشرة من صبا
ولا بعد مرّ الأربعين صبا

ويقول :

خبر الحياة شرورها وشرورها
من عاش مدة أول التقارب
وافى بذلك أربعين فما له عذر إذا أسمى قليل تجارب
....

ومتى سرى عن أربعين حليفها
فالشخص يصغر والحوادث تكبر
....

ورميت أعواي ورأى مثل ما رمت الطي مهامه السّفار
وركبت منها أربعين مطية
لم تخل من عنتٍ وسوء نِفار
....

شربت سني الأربعين تجرعا فيا مقبراً ما شربه في نارج

بما كنى إلى هذه المواضع وإلى أمثالها ... ما دام لا يستطيع أن يردد « القرآن كله » في مجلة الرسالة للاستشهاد !

وأحسب : أن ليس هكذا تكون مقاييس الفنون !
والذى أفهمه أنا حين أقول عن التصوير في القرآن : « فليس هو حلية أسلوب ، ولا فلتة تقع حيناً اتفاق . إنما هو مذهب مقرر وخطة موحدة ، وخصيصة شاملة » أو حين أقول : « والأشلة على هذا الذى نقول هي القرآن كله حيناً تعرض لغرض من الأغراض التى ذكرنا ... »

الذى أفهمه حين أقول هذا : أن السمة الواضحة التى تحدد « عنوان » الطريقة المتبعة في القرآن هي سمة « التصوير » وأن هذا لا يبنى انتفاء نص أو عدة نصوص لا تتضح فيها هذه السمة . إنما الطابع العام هو الذى يعينى ، وهو الذى يعنى كل ناقد ينظر في عمل فني ، فيبحث عن السمات العامة فيه ، ولن يجد من يقول له : إن هنا سطراً أو فقرة أو صفحة لا تتضح فيها هذه السمة . فذلك آخر ما يقال في الحكم على الفنون .

فأما حين تكون في العمل فنقول إن خصائص « الأكجين » هي كيت وكيت . فإن لكل باحث أن يقول : نعم أو كلا . إن هناك خصيصة ذكرت خطأ ، أو هناك خصيصة نسبت . فالحكم غير صحيح !

وهذه هي نسخة المصحف التى كانت مرجعاً في أثناء تحضير كتابي . تحمل صفحاتها « تأشيراتي » على مواضع التصوير في القرآن . وهأنذا لا أكاد أجد صفحة واحدة خلت من موضع يحمل إشارة إلا أن تكون تشريعاً ... وهذا حسبي لتقرير هذه الحقيقة التى قررتها في كتابي بعد التشبع بطريقة القرآن ، والحياة في جوه أكبر وقت استطاع .

بل هأنذا أنظر في كلمة الأستاذ عبد المنعم الأولى التى يمدد فيها طرائق التعبير القرآني فيقول : « إنى أترك له أن يستعرض صفحات القرآن فيوجد أن التصوير الفني أداة واحدة من أدوات التعبير الكثيرة في القرآن ؛ وليست هي الغالبة ولا الكثيرة (١) فتارة يعبر عن المعنى المراد بالتعبير المشكافي المعنى واللفظ الذى يستخدم الألفاظ الوضعية وحدها (٢) وتارة يستمر لفظاً واحدة من غير أسرة الألفاظ التى في الجملة ليحرك بها الخيال وليس الحس لما رقيقاً (٣) وتارة تكون ألفاظ الحقيقة

الجمال الفني والعقيدة الدينية

في القرآن الكريم

للأستاذ سيد قطب

- ١ -

منذ أسبوعين قرأ الناس في الرسالة « مناقشات » الأستاذ عبد المنعم خلاف حول « التصوير الفني في القرآن » وحول « النطق الوجداني » كذلك .

وإذا أنا عدت اليوم إلى مناقشة هذه المناقشات ، فإنما يدعوني إليها أنها طريقة مضمونة لتوجيه النظر إلى الجمال الفني في القرآن من زاوية لم تعرف قبل الآن . فأننا أزعم أن هذا الجمال قد بقي مجهولاً في الغالب ، منذ أن حاول تجليته الإمام « عبد القاهر » فوصل إلى أقصى ما يتيح له عصره ... ثم لم يتابعه أحد في الطريق الصحيح ، إلا فلتات تقع بين الحين والحين .

وأنا أزعم كذلك أن الأدب العربي لم ينتفع الانتفاع الواجب بكتاب الإسلام المقدس ، كما انتفعت آداب الأمم المسيحية بكتابتهم المقدس من الوجهة الفنية ... فكل تجلية لطريقة القرآن الأدبية ولمواضع الجمال فيها على طريقة فنية شاملة إنما هي كسب للأدب العربي - ولو جاء متأخراً جد التأخر عن موعده - وتوسيع لآفاق النظرة الفنية للبلاغة ، واتجاه بها إلى « النقد الفني » الذى كان يجب أن يصير إليه ، لو لم تركد عند القول بعد البلاغية الجافة التى يحاكمون إليها الجمال الفني في الأدب العربي عامة

لا يزال الأستاذ عبد المنعم يحادلني حول طريقة التعبير المفضلة في القرآن ، وحول العقيدة بين المنطق والوجدان . فلتحدث اليوم عن المسألة الأولى . فأننا أزعم أن الطريقة المفضلة هي « التصوير » ويرى هو هذا الزعم مبالغة دعا إليها مجرد الحماس .

وحين أحييه على المصحف لينظر صدق ما آجبه إليه يرى أننى أحييه إلى محال على طريقة « جحا » في عد نجوم السماء !

ولكنه يفتح المصحف هنا وهناك فيجد أمثلة لا تنطبق عليها القاعدة ، ويرى مواضع للتعبير لا يبرز فيها التصوير . وعندئذ

« لون من ألوان » التخيل » يمكن أن نسميه « التشخيص »
يشتمل في خلق الحياة على المواد الجامدة ، والظواهر الطبيعية ،
والانفعالات الوجدانية . هذه الحياة قد ترتق فتصبح حياة إنسانية
تشمل المواد والظواهر والانفعالات ، وتهب لهذه الأشياء كلها
عواطف آدمية وخلجات إنسانية تشارك بها الآدميين ، وتأخذ
منهم وتعطي ، وتتبدى لهم في شتى الملابس ، وتجعلهم يحسون
الحياة في كل شيء تقع عليه العين ، أو يتلبس به الحس ، فيأمنون
بهذا الوجود أو يرهبونه في توفز وحساسية وإرهاق .

« هذا هو الصبح يتنفس . (والصبح إذا تنفس) فيخيل
إليك هذه الحياة الوديمة الهادئة التي تنفرج عنها ثنياه ، وهو
يتنفس فتتنفس معه الحياة ، ويدب النشاط في الأحياء ، على وجه
الأرض والسماء .

« وهذا هو الليل يسرع في طلب النهار فلا يستطيع له
دركا : (يُغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً) ويدور الخيال مع هذه
الدورة الدائبة التي لا نهاية لها ولا ابتداء .

« أو هذا هو الليل يسرى : (والليل إذا يسرى) فتحص
سريانه في هذا الكون العريض ، وتأس بهذا السارى على هينة
واتناد .

« وهاتان هما الأرض والسماء عاقلتين يوجه إليهما الخطاب
قتسرعان بالجواب : (ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها
والأرض اتنيا طوعا أو كرها . قالتا أتينا طائعين) والخيال
شاخص إلى الأرض والسماء ، تدعيان وتجييان الدعاء .

« وهذه هي الأرض « هامة » مرة و « خاشعة » مرة ينزل
عليها الماء فهتز وتحيا : (وترى الأرض هامة فإذا أنزلنا عليها
الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج . ومن
آياته أنك ترى الأرض خاشعة ، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت
وربت ... »

« ومن « التجسيم » وصف المعنوي بمحسوس كوصف
المذاب بأنه غليظ : (ومن ورائهم عذاب غليظ) واليوم بأنه
ثقيل : (ويدعون وراءهم يوما ثقيلا) والرياح بأنها لواقع تشبها
لها بالحيوان لما تحمل من مطر (وأرسلنا الرياح لواقع) .

« وضرب الأمثلة على المعنوي بمحسوس كقوله : (ما جعل
الله لرجل من قطين في جوفه) لبيان أن القلب الإنساني لا يتسع

وملابسات الخيال متساوية (٤) وثارة تكون ملابسات التصوير
وإثارة الخيال هي الغالبة (٥) وثارة تكون هي الكل ... »

فهذه خمس طرائق للتعبير عندها الأستاذ عبد المنعم ... أنظر
فأرى أربعا منها مما أعنيه حين أذكر طريقة التصوير . وواحدة
فقط هي التي نسلك الطريقة الذهنية المجردة . وتكملة لهذا البيان
أقرر أن هذه الطريقة تكثر في مواضع التشريع وفي بعض مواضع
القرآن لأنها تكاد تطرد في سائر الأغراض .

أم لعل الأستاذ عبد المنعم لا يرى التصوير إلا في الطريقة
الخامسة وحدها ؟ هكذا فهمت منه حين يقول تعقياً على النصوص
التي استشهد بها في مقاله الأخير !

« فأين في هذه الآيات وأمثالها الكثيرة « التصوير الفني »
الذي لفت نظر الأستاذ سيد وأثار خياله حتى وهو طفل بمحبته
في اللوحات ذات الوحدة والتناظر والتمثيل الجامع ذى الظلال
والأجواء الشاملة كما يتجلى في « ومن الناس من يعبد الله على حرف
فإن أصابه خير اطمان به ، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه ... »

وجوابي على هذا أن هذا اللون « الفاقع » من التصوير ليس
من الضروري أن يتحقق دائماً لنطلق عليه عنوان « التصوير »
وإذا كان هذا اللون هو الذي لفت خياله في الطفولة ، فهذا شأن
الطفولة التي لا تلفتها إلا الألوان الزاهية الصارخة . فأما حين
تكتمل الحواس الفنية ، فعنى خليفة أن تدرك أدق الخطوط وأهدأ
الألوان ، وتنفعل بها أشد الانفعال ... وهذا هو الذي كان !

ولكن أكت أنا مقصراً في التنبيه إلى ما أعنيه بالتصوير
في القرآن ، وهل تركت مجالا في كتابي لثل هذا اللبس !
فلنمد إلى بعض نصوص الكتاب :

جاء في صفحة ٣٢ من الكتاب ، في فصل « التصوير الفني »
« ويجب أن تتوسع في معنى « التصوير » حتى ندرك
آفاق التصوير الفني في القرآن . فهو تصوير باللون ، وتصوير
بالحركة ، وتصوير بالتخيل ؛ كما أنه تصوير بالنعمة تقوم مقام اللون
في التمثيل . وكثيراً ما يشترك الوصف ، والحوار ، وجرس
الكلمات ، ونغم العبارات ، وموسيقى السياق ، في إبراز صورة
من الصور ؛ تملأها العين والأذن ، والحس والخيال ، والفكر
والوجدان ... »

وجاء في صفحة ٦٠ وما بعدها في فصل « التخيل الحسى
والتجسيم » بعض التطبيقات لهذه القواعد :

القرآن ضربت الأمثلة بالموسيقى التصويرية التي نهى الجو العام في مثل :

« والضحي . والليل إذا سجي . ما ودعك ربك وما قلى .
وللاخرة خير لك من الأولى . ولسوف يعطيك ربك فترضى .
ألم يجدك يتيماً فآوى . ووجدك ضالاً فهدى . ووجدك عائلاً
فآوى » .

فهنا إيقاع موسيقى هادئ لطيف يصور الجو العام الذي
يمتس فيه معاني السورة . وهو مخالف حتماً للإيقاع السبع من
مثل قوله :

« كلا إذا دك الأرض دكاً دكاً وحاً ربك والملك مصفاً
مصفاً » .

والموسيقى التصويرية لون من ألوان التصوير الفني بلا جدال .

التصوير هو القاعدة العامة في تعبير القرآن ... أكررها
مرة ومرة ، لا إصراراً على قول ، ولكن اقتناعاً بعد درس .
وكل ما أطلبه إلى الأستاذ عبد المنعم ألا يناكفئ في هذا الرأي إلى
نص أو مثال . ولكن إلى سمة غالبة ، وإلى شمول في معنى التصوير
كما يسته في مواضع متعددة من كتابي . وإلى لأطلب إليه وكتابي
بين يديه أن يعود فيقرأه كله ثم يقرأ القرآن !

ويسبق تقويم هذا التصوير ، والأستاذ يقول : « إنما يثبت
أننا لو ربطنا بين سر الإعجاز وبين التصوير الفني وحده نكون قد
سويتنا بين تعبير القرآن وبين غيره من موارد أرباب البيان الرفيع
في كل لغة إذ أننا نجد في موارد استخدام التصوير الفني ... »
ولست أدري كيف يقال هذا الكلام بعد ما رددت به على
الأستاذ نجيب محفوظ في تقويم هذا التصوير في القرآن وفي
الشعر عامة ؟

إن العبرة ليست باستخدام التصوير ، ولكن بمستوى هذا
التصوير من التناسق والحياة . وقد كشفت في كتابي في مواضع
كثيرة عن تفرد التصوير القرآني في خصائصه فلم يبق مجال لمثل
هذا الاعتراض الذي ينطبق على جميع طرائق التعبير لا على
طريقة التصوير وحدها . ولا حكم فيه على أى طريقة . لأن السمة
شيء ومستواها شيء آخر والسلام .

سير قطب

لأنجاهين . ومثل (ولا تكونوا كالتى نقصت غزلها - من بعد
قوة - أنكانا) لبيان البعث في نقض العهد بعد الماهدة ...
وجاء في ص ٧٤ وما بعدها في فصل « التناسق الفني » .
« هناك المواضع التي يتناسق فيها التعبير مع الحالة المراد
تصويرها فيساعد على إكمال معالم الصورة الحسية أو المعنوية .
وهذه خطوة مشتركة بين التعبير للتعبير ، والتعبير للتصوير ... مثال
ذلك : (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون) .
فإن كلمة « الدواب » تطلق عادة على الحيوان - وإن كانت تشمل
الإنسان فيما تشمل لأنه يذب على الأرض - ولكن شمولها هذا
للإنسان ليس هو الذى يبادر إلى الذهن ، لأن للعاده حكمها في
الاستعمال . فاختيار كلمة « الدواب » هنا ثم تجسيم الحالة التي
تمنهم من الانتفاع بالهدى يوسفهم « الصم البكم » كلاهما يكمل
صورة الغفلة والحيوانية التي يريد أن يرسمها لهؤلاء الذين لا يؤمنون
لأنهم « لا يعقلون » !

« وقد يستقل لفظ واحد - لا عبارة كاملة - برسم صورة
شاحصة - لا بمجرد المساعدة على إكمال معالم صورة - ...
تسمع الأذن كلمة « أناقلتم » في قوله : (يا أيها الذين آمنوا ما لكم
إذا قيل لكم افشروا في سبيل أثاقلتم إلى الأرض ؟) فيتصور
التخيل ذلك الجسم المثاقيل ، ليرفعه الرافعون في جهد فيستقل من
أيديهم في ثقل . إن في هذه الكلمة « طناً » على الأقل من الأثقال !
« وقرأ : (وإن منكم لکمنٌ كُيَبِّطُونَ) فترسم صورة
التبطل في جرس العبارة كلها - وفي جرس « ليبطون » خاصة
وإن اللسان ليكاد يترنم وهو يتخبط فيها حتى يصل إلى نهايتها «
« وتتلو حكاية قول هود . (قال أرايتم إن كنت على بينة
من ربى وآتاني رحمة من عنده فمُسميت عليكم أنزلْكموها
وأنتم لها كارهون ؟) فتحس أن كلمة « أنزلْكموها » تصور جو
الإكراه بإدماج هذه الضمائر في النطق وشد بعضها إلى بعض ،
كما يدمج الكارهون مع ما يكرهون ، ويُشدون إليه وهم منه
نافرون ! »

وهكذا ...

وفي هذا الفصل عند استعراض آفاق التناسق الفني في

نموج من الشعر المرسل الحر !

لمؤسسه على أحمد باكثير

فعلا صوت لا يسمعه إلا النصفون :
يا أيتها الدنيا هل تدرين أنك غدوة ؟
أسأل قبل أن تعجبي من هم هؤلاء الجنود البواسل ؟
أي شعب أنجبهم ؟

إن لم تعلمي فاعلمي أنهم ليسوا من فرنسا !
إنهم من أبناء (الشام) الأكرمين
إنهم من نسل العرب اليامين !

يا فرنسا يا مهد الثورة الكبرى !
يا ناشرة الحرية في الدنيا !
يا من ركمت تحت أقدام المعتدين
وتخلت لأعدائها عن أحلافها الباسلين
وتخرج أبناءها إشفاقاً على باريس عروس السين
فرأوا أن يرفوها غير ممسوسة لئلا تهم الفاتحين ؟
ما نفع الكرامة في الدنيا إن زالت تلك النون الغرائب ؟
إنهم ليسوا بالفلأط طبعاً كأبناء عاصمة الإنجليز
الذين استماتوا عنها دفاعاً فأضحت أطلالاً وخرائب !

يا فرنسا يا مهد الثورة الكبرى !
يا ناشرة الحرية في الدنيا !
أي حق على قومنا تدعين ؟
وبأي جيل علينا تمنين ؟
أما راج في سوقنا من لسان به وطنين ؟
وثقافة سوء أدلتك في العالمين !

فأذهبي وقولي بها عنا !
قد تبرأنا منها فلتعلمين براءتها منا !
إننا لا نقبل من أحد عدواناً ومناً :
إذهبي عنا بثقافتك الخائنة !
إن في الدنيا غيرها لثقافات حرة واسمه !

ويلها ! أرادت فرض ثقافتها بالسلاح ؟
فلنحطم ثقافتها والسلاح معنا !
ويلها ! أرادت فرض مصالحتها بالسلاح ؟

هيباً كيف لم نعصف بالذئبي زلزلة ؟
كيف لم نهو فوق الوري شهب مُرسلة ؟
يا لها مهزلة !
يا لها سؤدة مُخجلة !

مثلت دورها أمة تدعى ضلة أنها من كبار الدول
سلمت للمعيرين أوطانها لتواري في سوريا وفي لبنان الخجل !
أمة ولت من وجه العدو فرارا
من ضرته الأولى انهارت ككثير الرمل الهيارا !
خاست بمواثيق أحلافها الباسلين
الذين تواتوا إلى أرضها منجدين
ثم خرت ساجدة تحت أقدام أعدائها المعتدين

نشرت صحف الدنيا يوماً هذا النبأ التالي :
احتلت جنود فرنسا البواسل (سردينيا)
قالت الدنيا : يا بطولتها ! يا شجاعتها !
رجعت لفرنسا حميتها وتقاليدها العسكرية
فاذا صوت قد علا لا يسمعه إلا النصفون :
يا أيتها الدنيا هل تدرين أنك غدوة ؟
أسأل قبل أن تعجبي : من هم هؤلاء الجنود البواسل ؟
أي شعب أنجبهم ؟

إن لم تعلمي فاعلمي أنهم ليسوا من فرنسا !
إنهم من أبناء (المغرب) الأكرمين
إنهم من نسل العرب اليامين !

وروت صحف الدنيا يوماً هذا النبأ التالي :
أبليت في « بئر حكيم » جنود فرنسا بلاء كبيراً
صدت (النازي) فارتد كسيراً حسيراً
قالت الدنيا : يا بطولتها ! يا شجاعتها !
عادت لفرنسا حميتها وتقاليدها العسكرية

أيام خيل الله أوغل نجمها في دار أهل الإنك والإشراك
يحملن كل أغر وضاح الننا عند الكريهة باسم ضحك
داسوا فرنسا واستباحوا أرضها وغدوا لحوزتها من اللك
سبحانك اللهم أمرك نافذ لك حكمة جلت عن الإدراك

صبراً دمشق فكل هم زائل وغداً يلوح مع النجوم سناك
تألقين كما عهدتك درة في تاج أروع من أسية زاك
في الجاهلية كان عزك باذخاً وازدان بالإسلام عقد حلاك
يا جنة الدنيا وبهجة أهلها وحظيرة العباد والناسك
يا معقل الإسلام في عليائه لا تدعني للغاصب السفاك
قولي للبحول مقالة شامت أنيت في باريس نوح الباكي
أنيت كيف ترنحت سيدان من ضرب على هام الرجال دراك

مهلاً فرساً للحوادث جمة والدمر دوار مع الأفلاك
والله لولا الإنجليز وحلفهم لذهبت غير حميدة ذكراك

قل للعروبة قول باك مشفق لا تركني للقرب في مساك
فالوعد عندهم جهام خلب وعبودهم شرك من الأشراك

فلنحطم مصالحها والسلاح معا !
يا لسخرية الأيام !

أشهدنا ديلة في عهد السلام

بالسلاح الذي لم تقا تل به الأعداء

يل ألت به في الثرى ساعة الميعاء

لتصول به وتجول على من أحس لها بالثناء

وأباح لها في محنتها من معوته ما تشاء !

فاشهدى يا أيها الدنيا هذه الدولة الباغية !

ليت شمري أقانلت الدنيا طاغية

ليقوم على إثره طاغية ؟

اشهدوا يا من وقعوا ميثاق النور على بحر الظلمات

أنا قد وقينا بالميثاق

إذ قنا نصون كرامتنا ونصون السلام

لسنا ممن يتقصون المهود !

أو من يؤثرون على حريتهم شيئاً في الوجود !

لن نعلم « باريسنا » للعدو لنحفظها من أذاه !

بل ندمر « لندننا » بأسلين ليبقى لنا حقنا في الحياة !

فاسمى أنت يا باريس !

واشهدى أنت يا لندن !

إعلان

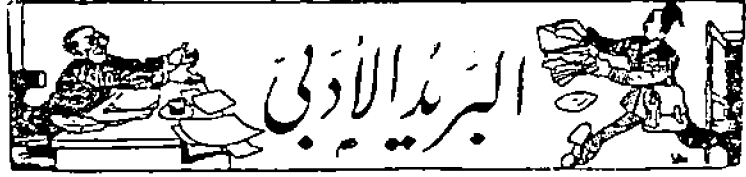
تقبل المظاءات بمجلس كفر
الزيات البلدى حتى ظهر يوم ٥ يولية
سنة ١٩٤٥ عن مشترى عدد ٢٣٦
متراً مكعباً من سماء المجارى وعدد
٤٥٤ متراً مكعباً من سماء القمامة
وتطلب الشروط من المجلس نظير
دفع الثمن وقدره ١٠٠ مليم وذلك
عرشحال تمخه فئة ٣٠ مليم .

٣٦٩٣

السودان يعزى الشام

للساهر السوراني الأستاذ أحمد محمد صالح

صبراً دمشق فكل طرف باك لا استبيح مع الظلام حاك
جزعت عمان وروعت بغداد واه تزت ربى صنعاء يوم أساك
وقرأت في الخرطوم آيات الأسمى وسمعت في الحرمين أنه شاكي
ضربوك لا متعقفين سفاهة لم تات إلحماً يا دمشق يديك
ورماك جبار بيتيه بحوله شلت بين الملعج حين رماك
قم يا ابن هند وامش فيهم غاوريا في كل جبار الزيمة شاكي
جدد لنا يوم اللواد وعهده وأعد علينا ما حكاك الحاك



مشكور على غيرته وحاسته وخاصة فيما يتعلق بكاء شعرائنا
الفرنسيين «باريس» بكاء التكالى الوالمات ! ولوقد سقطت
الاسكندرية تحت سنايك حصان موسلينى الأبيض كما كان
يرجو ما ذرفوا عليها دمة واحدة !

وأحب أن أذكر بهذه المناسبة أنى قلت شيئاً فى حوادث
لبنان سنة ١٩٤٢ حينما أمعن غريان السنغال فى التكتيل بأهل
بيروت، ولكن الرقابة حالت يومئذ دون نشره . ولما كانت حوادث
سوريا هى حوادث لبنان ، وسنغال الأمس هم سنغال اليوم ،
وعقلية فرنسا الاستعمارية لم تتغير ولن تتغير ، أستطيع الرسالة الغراء
نشر هذه القطعة ليصرف الكاتب الفاضل أن الشعراء لم يقصروا
وإن لم يقوموا بكل ما يجب .

الى الجنرال ديجول !!

ديجول، قل لى - هداك الله - ديجول
أأنت عما جرى فى «الأرز» مشغول ؟
أعطيت «لبنان» عهداً ما وفيت به
فكيف فاتك أن المهدة مشول
فيم المواتيق إن كنتم على ثقة
أن المواتيق تمويه وتضليل
قولوا لنا : كيف يحل الظلم من فئة
أجلاهمو الظلم عن أوطانهم ، قولوا
أنكروا على الأحرار حقهم
فى عقر دارهم ! تلك الأباطيل
جزاؤهم منكم فى ظل رأيهم
- على المودة - تشريد وتقتيل
تركتهم - وقد كبرت ثورتكم -
أقول : ثورتكم يا قوم تدجيل
أعمد سيوفك إن البنى جردها
على البرى ! وسيف البنى مفلول
لا تحقرن دماء راح يسفحها
غريان (١) جندك ! غالت جندك القول
شفت حرباً على من لا سلاح له
وفى بلادكو تجرى الأفاعيل

(١) السنغال .

الأستاذ أحمد محرم

نفع الشعر العربى فى علم من أعلامه الذين حفظوا وجوده
وأقاموا عموده ومهدوا له السبيل إلى هذه النهضة : ذلك هو المغفور
له الأستاذ أحمد محرم . فبض إلى رحمة الله فى الأسبوع الماضى على
الفراس الذى يسججه القدر للأدباء الأحرار من الفاقة والمرض
والوحشة ، بعد أن ظل اسمه لامعاً فى سماء الأدب العربى قرابة نصف
قرن . والناظر فى تاريخ الشعر الحديث يراه فى الرعيل الأول من
شعراء الإحياء الذين خلفوا البارودى على إرث الشعر لحدوا
باليه وأنشوا ذاويه ، ثم تحطفتهم الدبابا واحداً بعد واحد فإبقى
منهم غير مطران والكاشف !

كان أحمد محرم من الشعراء المطبوعين على الديباجة المشرقة
والقافية المحكمة ؛ وكان بطيل فى غير سقط ، وبيالغ فى غير شطط ،
ويتأقن فى غير تكلف . وربما كان أقل معاصريه وقوعاً على المعنى
الطريف والفكرة العميقة ؛ ولكنه كان من أكثرهم احتفالاً بحسن
الصياغة ولطف التخيل . وقد قام فى أعقاب عمره بنظم (الإلبادة
الإسلامية) وهو عمل يكفى وحده لتجيده وتخليده .

هذه كلمة نسى بها الفقيد الكريم ولا نزع أننا نرثيه ؛ فإن
الرثاء يقتضى العلم بحياة المرثى وصفاته ومقوماته وملابساته ،
ومعرفتنا بالشاعر الراحل لم تعد المعرفة الفنية لشعره . لذلك نتقدم
إلى إخوانه الذين خالطوه ولاسوه - وفى مقدمتهم الأديب
الوفى للأدب ، والصديق المخلص للأصدقاء ، الأستاذ كامل
كيلاى - أن يكتبوا للتاريخ ترجمة حياته وثبت مؤلفاته ؛ فإن
ذلك غاية ما يطلبه الأديب من الحقوق ، فى دنيا لم يفل منها
ومن بنى غير المقوق !

أين سرأونا ؟

نحت هذا العنوان كتب الأستاذ على محمد حسن كلمة أخذ
فيها على الشعراء تقصيرهم إزاء شقيقتنا سوريا . والأستاذ

سفر يكمله سفر كما كملت
فأنه يشكر ما قدمت من عمل

محمد برهام

مجمع العرب ...

اجتمع على مائدة جلالة الملك فاروق جمع كريم من رجالات
البلاد العربية وزعمائها وفيهم سمو الأمير محمد بن عيسى آل خليفة
عم حاكم البحرين ، وهو شاعر عظيم وراوي كبير ، فقدم إليه صديقه
الشاعر الأستاذ محمد عبد الغنى حسن هذه الأبيات :

جوانب النيل وساحة الهرم
منارة العلم ومصباح الظلم
ولنة الضاء لها فيها حرم
واجتمع الشمل عليها والتأم
والعربي صادق إذا عزم
لها الحلال والجمال والقدم
وانحدوا في ظل ذلك العلم
يحتدم البأس إذا البأس احتدم
يرجى ، وأبناء فليس يتهم
والفهم الجراح والألم
وسادة الدنيا وقادة الأمم ؟
وزلزلوا كل بناء فانهدم
وهمة عليها في كل قدم
وحائط قد تموه فأنسلم
منكم وسار في خلاله الضرم
وفيهم يا قوم النشيد والندم ؟
ولا ينال بالفخار والكلم
الحق يحمى بالحديد والحم
تأبى على القيد وفيكم المم
من طلب الأسر الجليل لم يتم
قولوا لمن نام إلى راد الضحى

قد غطت الشمس الهضاب والأكم
المجد لا يرجى بحلم زائل
من عاش في الأوهام يا قوم وهم

محمد عبد الغنى حسن

قد كان أولى بذلك «الهون»^(١) وحذمو

فتشيخكم^(٢) في إيسار «الهون» منقول

عودوا إلى الحق ، إن الحق منتصر

من ذاد عنه . ومن عاداه مخذول

إننا غضبنا «للبنان» وساكنه

و «الأرز» شاطره أحزانه «النيل»

كلا الشقيين - صان الله حوزته -

أبناءؤ العرب الفر البهليل

على الجنى

كتاب الفاروق عمر لمعالي هيكل باشا^(٣)

تبدو لنا في ابتسامات الضحى السير

متى جلاها عزيز القول مقتدر

يا (هيكل) إن ما ديجت عن عمر

قد كان يرقبه من (هيكل) عمر

خليفة ملائع الأصمخ ذو خطر قاله غير جبار له خطر

ومن سواك انتضى في كفه قلما

نور الهداية من فكيه منحدر ؟

ساس الأمور فماش الكل في دعة

وإن تفرست عن أعماطهم بهروا

ما حاد في الله يوما قيد أغلة

في سلم من آمنوا أو حرب من كفروا

وإن رأى شبهة جالت بخاطره من خشية الله لا ينفك يعتذر

وبقبل الحق مهما كان مصدره لم ينسه الحكم يوما أنه بشر

الناس في عدله طراً سواسية كالشط ، ما فيهم سام ومحتقر

هذى صحائف غرراح يبسطها (محمد) بأباد كلها غرر

تبرى من الأدب العال على فلك

وهالة ما سرى في مثلها قر

قدمت للعرب عقداً من مفاخرهم

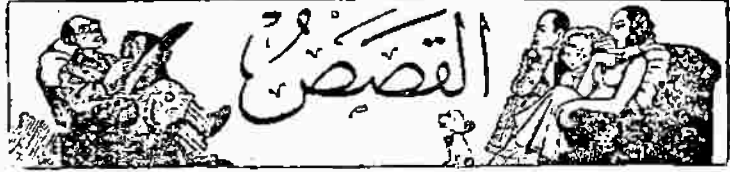
فا هنالك تريب إذا انتخروا

حللت تاريخه من كل ناحية فكان أجل تاريخ به صور

(١) الجرمان . (٢) بيتان وكان الألمان يحلون فرنسا .

(٣) بمناسبة صدور الجزء الثاني

رضنا به اعتباطاً وقد أشر الضابط السمج على جوازي
سفرنا .



ارتاحت نفسي إلى صداقة هذا اللميم لأن فيه من جمال
الصفات الروحية والخلقية ما يستر تلك البشاعة الواضحة
المنكرة ؛ ولأن حفة ظله ، وحضور ذهنه ، وبراعته في التنكيت
تأق ستاراً على دمامته المنفرة .

اسمع يا صاحبي ، أحسب أن المشوه كالأحذب والمخلع والأعرج
وكل ذي عاهة يمتد أنك ستسخر منه فيبادرك بسخرية مؤلة .
والظريف في أصحاب هذه الماهات أن البارح منهم يمزج سخريته
بالاستسام والفضحك وبذلك يعطن الانتقام بالمرح .

كنت ألقى صاحبي اللميم في الصباح على مائدة الطعام ، ثم
تنحى ناحية في بستان أو حرج بعيد عن الناس وضوضائهم
لنقرأ ؛ وكان رفيق ولوعاً مثلي بقراءة الكتب ، ثم نعود فنجتمع
فنتحدث فيما قرأنا .

لم أسمع من صديقي هذا حديثاً يخرج عن دائرة الكتب
وأسماء المؤلفين . ومن غريب أطوار هذا الدكتور الجامعي أنه
يقرأ الأدب ويتذوقه ؛ وله في أدياننا المعاصرين نظرات صائبات ؛ وله
آراء في كلية الآداب أسكت عن ذكرها ، ولكنه يجهل الحياة
بجهله المرأة . وقد قال لي : إنه لا يعرفها ويهرب منها لأنها هبة
الشیطان ، وعصا إبليس ، وسم الحية ، وأنه ما من رجل يطاوع
هواه ويساير شهوته فيقترب من امرأة إلا وهو ضعيف العقل
ملمس من خبال الفريضة ! ؟

ضحكت في سري من ضلال هذا الرأي وانتحلت لصديقي عذراً
في إبدائه على هذا النمط المخالف لسنة الطبيعة وقدّرت ظروفه
الخاصة التي جعلته ينفّر من المرأة ويتجنّب في الحكم عليها ، ولم يعد
الحديث عنها يدور لنا على لسان .

أخذت الوحشة من الوحدة يدب ديبها في نفسي ، والسأم يرين
عليها من هذه البلدة الصغيرة الخالية من وسائل التسلية ، والتي
لا أيسر لي فيها ولا ميسر سوى الكتاب ، وصديقي الجامعي اللطيف .
كل ما في طبيعة (رودس) هادي ، البحر والأشجار ، السماء
والناس ، والقلوب كلها هادئة أو شبه متحركة . وقلما رأيت
حتى في الفتيات الروديسيات المرحات عيوناً تنطلع إلى القلوب

الدميم ...

للأستاذ حبيب الزحلاوي

- ٢ -

—>>><<<—

ألقت الباخرة « إيجبتو » مراسيها ، وأخذ الركاب يتراحمون
وبلتفون حول الضابط المكلف بالتأشير على الحوازات ، هذا
بتوسل ، وذاك يطلب ، وذلك يتضرع ، وهذه تتدل ، وتلك
تغمز الضابط تستجبه التأشير على الجواز ، أي على السماح
بالدخول إلى جزيرة « الورد » كما يسميها التليان .

لا بد من الانتظار الطويل ربما ينتهي الضابط من أسئلة
سخيفة كان يخص بها السيدات الجميلات .

اقتعدت مقعداً بعيداً عن الرجة أنتظر دوري ، وإذا برجل
يقترّب مني ويقول : إنه مصري مثلي جاء ليقضي فترة من إجازة
الصيف في هذه الجزيرة التي قرأ وصفاً لها في الصحف فخال أنها
قطعة من جنات عدن ، وأنه ما جاء إلا مناسفاً بفعل الدعاية التي
أحدثتها الصحافة في نفسه ، في حين أنه ألف الاسطياف في مدن
« الكوت دازر » وأخذ يتكلم عن معاني فرنسا وسويسرا
وليطاليا وألمانيا بلهجة حارة ولفظ عذب وعبارات مختارة من صحيح
اللغة ، وكان يدعوني صديقه .

نظرت إلى وجه هذا الرجل الذي طرح على صداقته فإذا به
يمثل الدمامة بله البشاعة خير تمثيل : أعمش ، أمرط الحاجبين ،
أصلع ، في جبينه وعلى خديه ندوب الجدري ، وفي عنقه أخدود
من أثر جراحة ؛ وهو فوق هذا أستاذ علم الزراعة في الجامعة يحمل
شهادة دكتور ... وقد أدهشني عند ما قال لي إنه في الرابعة
والثلاثين من عمره وقد كنت أظن أكثر من ذلك .

لقد سحرني هذا اللميم بعذب حديثه وطيب بيانه وحسن
اطلاعه فانفتحت إليه ، فذهبنا بعد أن تركنا الباخرة إلى أول فندق

بهم فناء الفندق فيتسرحون في المرح القريب ويمرحون . وكنت أنا وصديقي الدميم كريضين أو قسيسين نتجمع المافية أو غنى النفس بسعادة لا نجد لها إلا في قراءة الكتب وفي شيء آخر محبوب أكثر من الكتب .

قال لي صاحبي ذات مساء وقد عاد من رحلة في تسلق الصخور : « لقد وجدتها ، لقد وجدتها » .

كانت ببرات صوته تدل في هذه المرة على شعور لم أتبين مثله في كلامه معي من قبل ، فقلت : وجدت من ؟ من هي التي وجدتها ؟

ولما لم يجب علي سؤالى ولو بكلمة واحدة لم أعرف التأنيت اهتماماً لأنى عرفت فيه نفوراً من الأثنى وسمعت حكمه الصارم على كل من يقترب منها .

تنفب عني في تلك الليلة فلم أر له وجهاً في غرفة المائدة ولا في قاعة الجلوس . وفي صبيحة اليوم التالى لمحته يهرول صوب وادى « أبولون » يحمل حراوة ليلحق بطائفة من النسوة ولم أرها أبعدت فيه قبله

من أين أقبلت هذه الزمرة من النساء ؟ ما علاقة صاحبي بهن ؟ من هي التي وجدها ؟ هل هي واحدة منهن ؟ لا أدري !

الفندق الذى أقيم فيه محدود مساحة وارتفاعاً ، أكاد أعرف نزلاءه بعلاصهم ووجوههم واحداً واحداً ، وواحدة واحدة ، من شيوخ وأطفال كأن عنصر الكهول والشباب لا وجود له ولا حساب ، فمن أين أقبلت زمرة النساء التى لحق بها صاحبي واندمج فيها حتى صرت لا أرى له وجهاً لا في الصباح ولا وقت تناول طعام الظهيرة أو العشاء ؟ !

نصوت ثوب البلادة ، واطرحت الكتاب جانباً ، وقت أسعى . هدأت السعى إلى فندق ملحق بفندقنا قائم على مرتفع ليس بعيد ، تحجبه غياض الصنوبر عنا ، وتنعج فيه الحياة ، وبصطخب مراح الشباب بأمواج من السرور ، ورأيت صاحبي الدميم تحف به جماعة من فتيان وفتيات يقهقهون . تقدمت قليلاً وما كدت أدنو منهم حتى أحاطوا بي وأخذوا ينهالون على بأقوال فيها ضحك ومزاح وعدم تورع في السخرية من شاب مثلى دأبه القمود والقراءة والنوم ، وآفته الكبرى مصاحبة رجل تمثل فيه الدسامة .

أدركت مبلغ تسامح صاحبي معهم في المزاح حتى تجرأوا

أو ترميها بنظرات ، فإن فعلت فهي تتطلع إليها خلسة تشهها شهوة هادئة ولا ترميها رمية صائبة .

كيف آلف الهدوء وطبيعة رفيق على النحو الذى وصلته لك ؟ وكيف لا تنوق نفسى إلى صخب الحياة وقد اتخذت « يرون » وكل مؤلفاته رفيقاً لي وسميراً ومعلماً في اعتكافى في هذه الجزيرة الهادئة ؟ كيف أجمع بين حياة هادئة قاترة فرضتها على طبيعة وجودى في هذه الجزيرة الساحرة مع هذا الصديق الدميم عدو المرأة البعيد عن الحياة ، وحياة قلقه حيرى ، صاحبة فياضة تضطرب في صدر رفيق « يرون » العظيم وقد سارت عدواها إلى صدرى ؟

صحمت على الرحيل ... ولكن إلى أين ؟

قال لي رب الفندق : إن في أعالي الجزيرة فندقاً جديلاً قائماً على القمة بين أحراج الصنوبر تحسن الإقامة فيه فترة من الزمن ؛ فقطعت الرأى على الذهاب إليه . ومن المدهش أنى ما كدت أضع حقيقتى في السيارة حتى رأيت حقائب صديقي الدميم تلقى في السيارة ووجدت هذا الصديق نفسه ينحط في المقعد ويجذبني إليه جذباً وقال : أتهرب منى إلى الجبال وتتركنى وحدى في هذا البلد الميت ؟ قلت قلبك هو الميت يا صديقي ! إن الحياة هي الحياة التى نرققها نحن الأحماء ، أما أنت المريض ميت القلب فلا تعرفها ولا تحس بوجودها .

لم يعرفه نفسى التفاتاً ... وأشار إلى سائق السيارة أن يسير . ولما كانت السيارة تدرج على شاطئ البحر وتمرج وتسلق جبلاً هي مجموعة من حدائق وبساتين كان صاحبي ملتزماً الصمت ، وما كنت أعرف أكان صمته ذاك وسيلة لهدئة نفسى ، أم لصلاك ما رميت به قلبه بالموات ولوك هذه القرية .

ما أكثر وجوه الشبه بين فندق « الأيل » وسموه باللغة الإيطالية « شيرفو » وبين الأديار في لبنان ! سكان الأديرة قساوسة جرفهم الأندار إلى هذا المحيط الضيق فأخذوا يمنون أنفسهم بمحيط واسع تتحقق فيه الأمنى وتظهر الغاية الإلهية من الوجود الإنسانى عقب الخلاص من هذا العالم القانى !

سكان فندق « شيرفو » أكثرهم مرضى ينتجعون المافية في هذه الصحة ، وشيوخ يأملون في العودة إلى الحياة ، حياة الشباب من طريق الاستراحة وطيب التغذية ، وبنتية صفار يضيق

على أنا الذى لم أرم قبل هذه اللحظة ، وكالوا الى بذات الكيل الذى رضى هو به .

أنفذت موقى بتصويب سحرية لاذعة إلى جمال أبرد فتاة ، وإلى رجولة شاب مسكين فى الزمرة ، ولم أنعف عن صد كل مازح أو مازحة بضحكة المستهزى .

شمرت بأنى كدت أعكر الجو ، وأجلب حقد النفوس على ، التفت إلى رئيس الموسيقى وطلبت إليه أن يعزف رقصة « الفالس » ، واجتذبت فتاة ليست على شيء من الجمال ، وأخذت أراقصها برشاقة وبراعة ... تقلبت خمس راقصات على ذراعى . ولم تكف الجوقة الموسيقية عن العزف لأنى دغدغت كف رئيسها فصار طوع إشارتى .

صفا الجو الذى عكرته بسلاطى التى ما كان لى محيص عن التوسل بها لإقازد نفسى من المأزق الذى حشرنى فيه صاحبى على غير قصد . ولا فرغنا من الرقص تكونت حولى الراقصات اللاتى أعجبى برقصى فأخذت أحدثهن حديثاً طريفاً فى فن الرقص ثم فى الأزياء والمواظف وما تركت القاعة وقد كاد الصبح يتنفس حتى أبقت أن سلطانى مد رواقه على الفتيات والسيدات والشبان النازلين فى ملحى الفندق

لم أنس أن آخذ صاحبى الدسم مى حين عودتى إلى الفندق ، ولا أنفردنا قال لى إنه انتقل إلى ملحى الفندق ، فعرف فيه فتاة جذابة أذكت بفتنتها الجذوة الكامنة فى قلبه . وقد عقد عزمه على الاقتران بها وأنه سيتزوجها لا محالة .

قلت : ألى النساء علية نظر وحس وذوق ترضى بدامتاك وشناعتك ؟

أخرسنى الحديث بأشارة فضحكت .

أعدت على سمعه قوله فى المرأة أنها هبة الشيطان وسم الأفعى ، وعما إبليس ؛ وحكمه على الرجل الذى يدنو منها بأنه خفيف العقل ، ممسوس بخيال القريرة فأجاب .

كان حكى ذاك قبل أن أصعق بفتنتها .

قلت أذهب إلى فراشك لأنك متعب وستحدث فى النهار فى أمر زواجك .

قال محتجاً : لا ، لا أذهب إلى فراشى ولن أذهب إليه ، لا أطيق النوم . وارتمى على كتنى كطفل وقال بصوت باك كبكاء العلف « لقد أحيت » سسم . بكل جوارحى العطشى ، ما عرفت الراحة منذ عرفت الآنسة « سسم » ولن يستقر بى قراز حتى أبني بها

قلت : أجاد أنت فيما تقول أم هازل ؟

رفع رأسه عن كتنى ونظر إلى نظرة استفسار حادة فتأملت قولى : كيف تكون جاداً وقد اضطررتى موقف أصحابك من فتيان وفتيات منك ومنى ، وإسمائهم فى الضحك والاستهزاء بك إلى غاشبتهم ، وكانت الآنسة « سسم » هذه إحدى الضاحكات ، وحل يشاد بناء الزواج على غير قواعد مكيئة من الرصانة والجذ ؟

قال : مصيبتى الكبرى فى وجهى المشوه الذى يثير الضحك ، ثم ما شأنى فيمن بضحكون منى فأسخر بهم فأهملهم بلحظة واحدة وأنكرهم كأن لا وجود لهم ؟ أما الآنسة « سسم » فاصحكت قط منى ولا هزأت بى . كنت أراقبها وأستشف معانى ضحكها . كنت أحس نظراتها تهز مشاعرى ، وحسوها يظللنى كفهامة موسى الكليم ، وأن شفتها على قد تدفع بى إلى اقتحام الصعاب وتذليلها لأجل إسعادها ، وسأسعدها إذا رضيت بى زوجاً لها ، سترضى وسأزوجها .

قلت أنعرف حكاية الشاب الفلاح مع ابنة الملك التى أحبها ؟ قال : لا أعرف الملوك والحكايات ، بل أعرف حكاية عرشى فى قلبى تستوى عليه مليكتى « سسم » .

قلت : « سسم » هذه هل سألت عنها ، هل عرفت أصلها ، هل كاشفتها الحب ، هل عرضت عليها الزواج ، هل رضيت بك بعلا ؟

صرخ فى وجهى صرخة شمعت بحاراتها قلب دويها وقال : هذه أمور أترك لك تذليلها ، أما أنا فليست براغب فقط بل أريد حتماً الزواج من « سسم » وسأرغمها على الرضى بى .

عجباً ، كيف ترغم فتاة على قبول زواج ؟

قال : يالك من أبله ، لقد لمحت شفتها بى ترسم فى نظراتها ، والشفقة عنصر قوى من عناصر الرضى والحب .

قلت أوافقك جدلاً على استنتاجك ، ولكن هب أنها ليست على دينك فكيف يكون الحل ؟

قال : من منا لا يقدم الدين الإنسانى على نواميس الأديان السماوية وكلها فى الجوهر واحد ؟

قلت : دستور الدولة والعرف .

قال : أستبين بالعرف وبالشرائع التى تحول دون اتحاد قلبين وأدار كتنه وانصرف .

مبيب الزمزموى

(ينج)